ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1044 - الجمعة 3 شوال 1424 هـ - الموافق 28 نونبر 2003

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

علم التوقيت

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية

بشريات الصيام في رمضان

فضل قضاء حوائج الناس

ذكرى عيد الفطر السعيد

يطل عيد الفطر السعيد والأمة الإسلامية تعيش مشاكل اختلقت لها فشغلتها قادة وشعوبا عن التفرغ لخدمة بلادها، واستغلال خيراتها، واتحاد صفوفها، كما شغلتها عن تربية بناتها وأبنائها التربية الدينية الصالحة، وهذا الانشغال الذي ابتليت به أمتنا نتيجة مخطط ماكر يريد أن يسلب الأمة الإسلامية الكثير من قيمها ويشغلها عن إسهامها في بناء الحضارة الإنسانية، علما، وعملا، واقتصادا، وتقدما بارزا يفرض لها احترامها، فابتليت بكثير من الاتهامات لا يقرها ديننا الإسلامي منها الإرهاب الذي يمنعه الإسلام وتحظره القوانين العادلة، وتحرمه المحافظة على حقوق الإنسان التي يرعاها الإسلام، ويدعو إلى احترامها، كما ينادي بالتحام صفوف الإنسانية ونشر السلم والسلام بين أفرادها وجماعاتها قادة وشعوبا.

وقد نادى علماء الإسلام جزاهم الله خيرا بحقيقته ووضح قادة المسلمين رحمانية هذا الدين وعدله ولطفه وما يدعو إليه من نشر المساواة بين أبناء البشرية في إطار نص عليه الكتاب وبينته سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد تنبه كثير من المسؤولين الغيورين على الإسلام وعقيدته لما يروج عن الإسلام من دعايات مغرضة تريد النيل منه فنبهوا على ذلك ووضحوا ما يدعو له ديننا الحنيف من التآخي والتآزر والتعاون على البر والتقوى على هدى من الله ورضوان ونهيه الدائم عن التعاون على الإثم والعدوان.

وكشفوا لمن أراد أن يستمع القول فيتبع أحسنه عن حقيقة الإسلام الرحمانية الإنسانية.

فهذا العيد السعيد أقره دين الرحمة والأخوة والألفة والتآخي والتكافل الاجتماعي مما يجعل الفقير يعيش نفس الفرحة التي يشعر بها الغني من عطف هذا الأخير عليه.

كما يمقت هذا الدين الذي ختم ركن صيام رمضان بعيد الفطر الاعتداء على الغير والإرهاب وإشاعة عدم الاستقرار بين البشرية...

فليعلم الآخرون أن هذا العيد الذي يريد مشرعه نشر العدل والمساواة والمشروعية الغير المزيفة بين بني الإنسانية، يجسد المساواة في أعلى صورها وأبهى حللها بين المسلمين وهم يحتفلون به.

وقد نادى علماء الإسلام جزاهم الله خيرا بحقيقته ووضح قادة المسلمين رحمانية هذا الدين وعدله ولطفه وما يدعو إليه من نشر المساواة بين أبناء البشرية في إطار نص عليه الكتاب وبينته سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إن هذا العيد الذي نحتفي به هو عيد الإنسانية والأخوة والسلام وذلك ما يدعو له دوما وأبدا أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين سيدنا ومولانا جلالة الملك محمد السادس الذي يبث السلم وينشر العدل والمساواة ويوفر للرجل والمرأة حقوقهما حسبما يدعو له ديننا الحنيف ويدعو المسلمين جميعا قادة وشعوبا إلى توحيد الصف والعمل على أن تكون الإنسانية في جو من التآخي والمحبة ويحفزهم أعزه الله على التعاون وتعميق الثقة بينهم حتى يظلوا متماسكين متحابين، على الخير متعاونين وفي سبل الإحسان متنافسين.

أعاد الله هذا العيد المبارك على جلالته مرات تلو مرات وهو يرفل أعزه الله في ثوب العز والنصر والتمكين، وأقر عينه بولي عهده الأمجد سمو الأمير مولاي الحسن وشد عضده بصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

كما نرجوه أن يقيل عثرة المسلمين وينشر السلم بين أفراد الإنسانية إنه سميع مجيب.

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس
النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العدل والعدالة في التوجيه الديني

مواقع العدل

نتابع في هذا الركن الحديث عن العدل والعدالة في التوجيه الديني، وننتقل إلى ساحة عرض العدل في حياة الإنسان، ونبدأ بالعدل الأسري باعتبارا أن الانسان لايمكن أن يعيش خارج الاسرة إلا أنه هو بذاته وجوده فوق الأرض ناتج عن حياة أسرة ولو في جهة واحدة فلا يوجد إنسان إلا من أمومة كيفما كان وضعها أو شأنها.

وهنا لابد أن نشير إلى حالة الاستثناء التي كانت المنطلق لإيجاد الإنسان فوق الأرض، فالله عز وجل عندما هيأ الكون للحياة الإنسانية وجعله متوفرا على كل الظروف التي تتيح الانطاق في الحياة البشرية بعد أن وفر ظروفا خاصة لخلق آخر أو جده قبل الانسان، وتجد القرآن الكريم يشير إلى بداية خلق الانسان لفتح الباب أمام الاسرة، التي ستستمر إلى أن يشاء الله انطلاقا من القاعدة القائلة بأن كل شيء كانت له بداية لابد أن تكون له نهايته كيفما كان، والواحد الذي لم تكن له بداية وبالتالي ليست له نهاية هو الله عز وجل الذي لا أول له ولا أخر، وهو الأول والآخر.

الآية التي تشير إلى بداية الخلق نجدها في سورة السجدة بداية من الآية السابعة في قوله تعالى "الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه".

الأستاذ أحمد أفزاز
النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

(تابع ص. 2)

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

حكم التسري. الذي هو نوع من الزواج. في الشريعة الإسلامية

■ إعداد الأستاذ: محمد بن عمر العزوزي

في مجلة: (وجهة نظر) عدد 20.19مزدوج.
ربيع وصيف 2003م.
بدءا من صفحة 3 (المملكة المغربية نموذجا) العمود:2

ويمكن اعتبار قصة تأسيس أول أسرة ملكية مستقلة بشمال المغرب وهي أسرة الأدارسة: 904.788م، بمثابة بداية تاريخ هذه المؤسسة. وفي ص:4ع الأول.

إدريس بن عبد الله قدم إلى المغرب في العام:170هـ786م، رفقة مولاه رشيد (بل: راشد)، واستقر عند إسحاق بن عبد الحميد الأوربى، فأمره البرابرة عليهم، وبايعوه، مما دفع هارون الرشيد عند علمه بذلك إلى إرسال أحد جواسيسه الملقب بالشماخ ليسقيه سما، وكذلك كان، وبعد موت إدريس 175هـ، 991م باشر مولاه رشيد الإمارة، ثم ولدت كنزة سرية الأمير الهالك، ولدا سموه باسم والده إدريس، فالصورة إذن صورة واحدة من سلالة النبي هارب بصحبة زيون عبد، اعتق لا زوجة له ولاولد، قدم من المشرق مهبط الوحي، ومركز لحكم الخليفة العباسي بعيد عن المغرب.

إلى أن يقول ص: 4ع2، ونعلم أنه ارتبط بالمجموعة التي حل بين ظهرانيها عن طريق التسري، إذ هناك تبادل بين مشرق /مغرب، وأجنبي/محلي، نسب كريزمانتي، نسب مهيمن، عرب أمازيغ.

وينبغي تسجيل لغز التسري، هذا وغياب الإحالة على زواج، مع استحالة معرفة ما إذ كان هذا الشريف قد أقام علاقات زواج شرعية أخرى إلى جانب التسري، أو اقتصر على هذه العلاقة الأخيرة،و هذا فضلا عن كون النص لايشير إلى هذه السرية إلا في سياق الخلافة، حيث أصبحت ذات سلطان تستمدها من مولودها.

ومن الصعب أن نجد في هذا بعض عناصر الزواج العربي، نعم إن التسري مؤسسة قديمة، أخذ به الرسول نفسه، وهو بدون شك، يدل على وضع وعلى اختلاف بصداه في نوع العلاقة، لعل اللغة تحتفظ بصداه، كنزة سرية الأمير، يقول النص: وقد أصبح ابنه أميرابدوره، ولم يفقد من قدسية الدم النبوي شيئا، دم نقله إليه والده عبر رحم كنزة الذي لم يزد على كونه مجرد حاضن.

ومهما يكن، فإن إدريس بن إدريس يتوفر على شجرة نسب من جهة أمه كذلك، إذ عن طريقها ينتمي إلى القبيلة الأمازيغية التي آوت والده، فهل هذه الصفة تعطينا شريفا أمازيغيا، من الصعب الحسم في المسألة.

وعلى كل حال فإن هذه القرابة ربطت صلات بأسرة النبي التي بفضلها أصبحت أسرة محلية، ومن ثم تعايشت بعض الممارسات التي أفادت من الصرامة المعمارية المعممة مع ممارسات غيرها.

والدكتور عبد الله حمودي عالج موضوع نشأة دولة الادارسة، وملك الأدارسة في المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بطريقة فلسفية، ركز في بحثه، في بداية مقاله على زواج المولى ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه، وفاطمة بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالسيدة كنزة البربرية، واعتمد كثيرا لفظة (سرية)و (التسري).

فالدكتور عبد الله حمودي في بحثه في مجلة (وجهة نظر) فيه غموض وقد نقلت كلامه حرفيا فيما يتعلق بالمولى إدريس الأكبر، وابنه المولى إدريس الأصغر رضي الله عنهما، وأمه السيدة كنزة البربرية، ليطلع عليه القراء، وخصوصا من لم يتوفر على النسخة من المجلة المذكورة.

وقد ارتأيت أن أعلق على هذا الموضوع، موضوع التسري، وأغوص في بعض ما ورد في شأنه، تتبعته تاريخيا ولغويا، وفي القرآن الكريم ، وفي الحديث الشريف وأخيرا ماورد في الفقه.

وبدءا بالتاريخ جاء في كتاب (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى) لأبي العباس الناصري ج:1ص:160 نقلا عن كتاب:(الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع ج:1ص:29.28 (أمر البربر بعد وفاة إدريس بن عبد الله رحمه الله) قالوا إن الإمام ادريس لما توفي لم يترك ولدا، إلا حملا من أمة له بربرية اسمها كنزة، فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه، جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم: إن ادريس لم يترك ولدا، إلا حملا من أمته كنزة، وهي الآن في الشهر السابع من حملها، فإن رأيتهم أن تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها، فإن كان ذكرا أحسنا تربيته، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت، وتبركا بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان جارية نظرتم لأنفسكم، فقالوا له أيها الشيخ مالنا رأي إلا مارأيت، فإنك عندنا عوض من إدريس، تقوم بأمورنا، كما كان يقوم ادريس، تصلي بنا، وتقضي بيننا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصبر حتى تضع الجارية حملها، ويكون ما أشرت به، على أنها إذا وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الأمر لفضلك ودينك وعلمك، فشكرهم راشد على ذلك، ودعالهم، وانصرفوا، فقام راشد بأمر البربر، تلك المدة.

ولما تمت للجارية أشهر حملها ولدت غلاما أشبه الناس بأبيه إدريس، فأخرجه راشد إلى رؤساء البربر حتى نظروا إليه، فقالوا هذا إدريس بعينيه، كأنه لم يمت، فسماه راشد إدريس، ونشأ الصبي نشأة حسنة إلى أن كان من أمره ماذكره.

قال ابن خلدون: (بايع البربر إدريس الأصغر حملا، ثم رضيعا، ثم فصيلا إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة وليلي سنة ثمان وثمانين ومائة، وهو ابن إحدى عشرة سنة).

وفي لسان العرب م 4ص:358 والسر النكاح، لأنه تكتم، قال الله تعالى: (ولكن لاتواعدوهن سرا) قال رؤبة:

فعف عن أسرارها بعد الغسق
ولم يضعها بين فرك وعشق

والسرية الجارية المتخذة للملك والجماع، (فعلية) منه على تغيير النسب. وقالوا: (لاتفتح القربة) ولا (تكسر القصعة) (وضم صدر السرية) وهذا من التورية في باب البلاغة، يقصد في الظاهر أمرا، ويريد معنى آخر، فالقربة جلد الماعز مدبوغ يملأه السقاء ماء فيسقى به الناس، يريد لاتفتحه إن فتحته سال ماؤه دفعة واحدة، ويريد اجعل القاف مكسورة، ولاتجعل عليه الفتحة، والقصعة لاتكسرة إن كسرتها سال مافيها، وأراد اجعل الفتحة على القاف، وتجنب الكسرة، وضم صدر السرية اجعل السين مضمومة وأراد ضم جسمها إلى جسمك أثناء الاتصال الجنسي وفي المختار الصحاح والمصباح المنير مادة سرر والسرية الأمة التي بوأتها بيتا، وهي فعلية منسوبة إلى السر، وهو الإخفاء، لأن الإنسان كثيرا مايسرها ويسترها عن حرته، وإنما ضمت سينه لأن الأبنية قد تغير في النسب. أما القرآن الكريم يقول الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم «قد أفلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أوما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) المومنون 7.1 ففي قوله:(أو ما ملكت أيمانهم...) أي هم حافظون لفروجهم في جميع الأحوال إلا من زوجاتهم وإيمائهم المملوكات، فإنهم غير ملومين، أي فإنهم غير مؤاخذين، وفي تفسير ابن كثير، ج3ص:239 (أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلايقعون في مانهاهم الله عنه من زنا ولواط، لايقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، أو ماملكت إيمانهم من السرائر، ومن تعاطى ما أحل الله له، فلا لوم عليه ولا حراج، لهذا قال: (فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك . أي غير الأزواج والإماء . فأولئك هم العادون)أي المعتدون، قال ابن جرير: إن امرأة اتخذت مملوكها، وقد تأولت الآية (أو ما ملكت أيمانهم) فأتى عمر رضي الله عنه بالعبد فضرب وزج رأسه، وقال للمرأة: أنت بعده حرام على كل مسلم، وقد حرمها عمر على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها) انتهى باختصار.

أما كتب السنة، ففي صحيح الإمام البخاري م3ج:7ص:7.

باب اتخاذ السراري:(ومن أعتق جارية ثم تزوجها) أبو بردة عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها، فأحسن تعليمها،وادبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران) الحديث.

وفي النهاية لابن الأثير ج:2ص:360، وفي حديث عائشة رضي الله عنها، وذكر لها المتعة، فقالت:(والله مانجد في كتاب الله إلا النكاح والاستسرار) تريد اتخاذ السراري، وكان القياس: الاستسراء، ومن سريت إذا اتخذت (سرية) لكنها ردت الحرف إلى الأصل، وهو تسررت من السر النكاح أو من السرور، فأبدلت إحدى الراءات ياء.

ومنه حديث سلامة: فاستسرني أي اتخذني (سرية) والقياس أن تقول تسررني، أو تسراني، فأما استسرني، فمعناه ألقى إلي سرا، كذا قال أبو موسى، ولافرق بينه وبين حديث عائشة.

(يتبع ص7)

(تتمة ص:1)

■ إن الأسرة التي نبحث عن بداية العدل في حياتها لم تكن شيئا وانطلقت من إنسان واحد لم يكن له أب ولا أم يقول الله تعالى في سورة آل عمران الآية 59: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" فبداية الخلق من التراب ومن صلصال كالفخار.

وحتى تنطلق الحياة وتتكون الأسرة كان لابد من إنسان آخر يسجل في القائمة، وكان هذا الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي جاء من دون أم، ولكنه خلق من أب، إيمانيا لايجوز أن نسأل ونبحث عن الكيفية التي تم بها الحمل والخلق وفي أي جزء من جسم آدم كان هذا الحمل، لأن الذي خلق الإنسان من التراب قادر على الخلق من أي شيء، يقول الله تعالى في بداية سورة النساء: "يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء".

بهذه الصورة انطلقت الأسرة في الحياة الأولى التي جاءت بالذكور والإناث لتستمر الحياة ويستمر في الوجود من يقول لاإله إلا الله، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، إلا أننا ونحن نبحث عن موقع العدل في الأسرة نجد ظاهرة الاختلال في هذه الحياة الخاصة تنطلق من الأسرة الأولى في الوجود البشري في أسرة آدم عليه السلام.

يعد وجود الزوج والزوجة آدم وحواء، أمر الله عز وجل أن تنطلق منهما الحياة البشرية، فقدر الله أن يكون الحمل توام ذكر وانثى، ووجه الأب بأن يتزوج كل ذكر من أخت الآخر في الحمل ولا يتزوج من أخته التوام، وشاء الله أن يولد لآدم من الحمل الأول هابيل ومعه أخت أقل حسنا ونظارة، ومن الحمل الثاني قابيل ومعه أخت أكثر جمالا، ولما أراد الأب أن يزوجها على حسب ماجرت به عادة الاسرة رفض قابيل أن يأخذ الأخت الأقل حسنا، وأصر على أن تكون زوجته أخته التوام، فاحتكما للأب، فأمرهما أن يحتكما إلى الله عز وجل، بأن يقربا قربانين إلى الله فمن قبل قربانه كان له الأمر والاختيار، وعلى الآخر أن يخضع للقرار الإلاهي فقدم هابيل أحسن ماعنده من النعم وكان يحسن تربيته، وقدم قابيل حزمة من الزرع، وكان صاحب زرع، تقبل الله قربان هابيل وترك قربان قابيل، فغضب هذا الأخير، وقرر أن يقتل أخاه هابيل حتى لايتزوج أخته الجميلة، وكان الأمر كذلك، ويصور الله عز وجل الحدث من الآية السابعة والعشرين من سورة المائدة في قوله تعالى :"واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق، إذ قربا قربانا، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك، قال إنما يتقبل الله من المتقين" ويقول في الآية الثلاثين "فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين".

في هذه الحالة الإنسانية الأولى داخل الأسرة الواحدة نفتقد أحكام العدل بين الأخوة الأشقاء ونرى النتيجة السوداء التي حلت بالاسرة الأولى وبقي قابيل ينظر إلى جثة أخيه هابيل وهي ملطخة بالدماء ولايدري ماذا يصنع بها ، إلى أن رأى غرابا وجد أخا له ميتا، فحفز في الأرض مكانا، وجره إليه، ورد عليه التراب وسوى الأرض فانتبه قابيل وفعل مافعله الغراب بأخيه، فكانت أول وفاة إنسانية سجلت في الحالة المدنية للبشر، إلا أنها نتيجة ظلم وعدوان من أخ على أخيه بعد أن تحكم فيه الشيطان، وسيطر على فكره وعقله، ويعطينا المشهد الصورة الأولى للصراع بين الخير والشر في حياة الإنسان، والذي نشاهد بعض أعراضه من حين لآخر في حياتنا اليومية، فهل ما زال في الوجودمن يقول: "لإن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين" وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

أسماء السور هل توقيفية؟ وهل كلها أو بعضها؟

للعلامة عمر بن عبد الله الفاسي رحمه الله

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

بسم الله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وآله وصحبه وسلم.

الحمـــد للـــه،

نص سؤال كتبه إليّ الفقيه الأجل المقرئ النحوي العروضي الحيسوبي الفرضي المشارك المتقن، قريبي أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي، وصل الله حفظه وأمده بمعونته.

الحمد لله المعين الفتاح، حمدا مستمرا باستمرار العشايا والإصباح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الداعي إلى الرشد والدال على الصلاح، وعلى آله وأصحابه أولى الألسن الفصاح، والوجوه الصباح، صلاة وسلاما متعاقبين بتعاقب المساء والصباح؛

وبعـد:

فما يقول سادتنا الأعلام، ونجوم الملة وأقمار الإسلام، الذين رفع الله بهم منار الدين، فاتضح كل ذي بغي وجهالة، وأوضح أنوارهم معالم الرشاد للمستبين، فامحت سبل الغي والضلالة، ومتع الله بحياتكم العباد، وأنار بأنوار هداكم الأغوار والأنجاد، وجزاكم أفضل الجزاء، وقسم لكم أوفر الإجزاء، وآتاكم بالحسن، وبوأكم المقر الأسني، في مسألتين: الأولى أسماء السور هل هي توقيفية من قبل الشارع(ص) أم ليس من قبله بل من قبل الصدر الأول رضي الله عنهم؟ وإذا قلتم بالأول فهل سمى السور كلها أو البعض منها، فنقف عنده؟ أم ليس أسماؤها توقيفية رأسا، فلكل أن يسميها بنا شاء ثم أنا نجدهم يسمون السورة الواحدة بإسمين وبأكثر، فهل كل ذلك وارد من قبل الموقف إن قلنا به أم لا ؟

الثانية الإسم العلم لها، هل هو المركب الإضافي، من قولهم سورة الفرقان، سورة النساء، إلى غير ذلك، أم المضاف إليه دون المضاف فحينئذ يقال على أي ذوق، هي الإضافة، أم الإسم العلم ليس المركب ولا جزءه:

* * * * * *

الثاني من حيث هو مضاف إليه، بل هو العلم من حيث ذاته، فإن قلنا بالأولين، فلأي شيء صرفوا المضاف إليه، حيث يوجد المانع، لأنه جزء علم على الأول، والعلم نفسه على الثاني أو بالثالث، فإن كان مقصود اللفظ، فلأي شيء حتموا صرفه، كما يفيده التشبيه، في قول ابن مالك في باب منع إضافة السورة، والمقصود اللفظ يجوز فيه الأمران كما صرح به في ذلك الباب نفسه.

أجيبوا ما جورين من الله بمقنع نص، ليس لباحث معه فحص، لازلتم قبلة الآمال ومناخا للسؤال، ومفاتيح كل عويصة رتقاء، وأدلة للحائرين بهيماء، بالنبي وآله، والسلام عليكم والرحمة والبركة هـ.

يا سيدا فاق نبلا ... أهل النهي في زمانه
ومن حوى المجد طرا ... في وقته وأوانه
شماله باهتمام ... أعيا من دنا لبيانه
فضاء منه ذفاه ... يعري نقاب عوانه
بما حكى السحر لفظا ... بكشفي مخفي معانيه
انعم بفض جمانه ... والروض اتاك منه سؤاله
من غير مطل عداة ... فكوا أسير امتحانه
لازالت ترقى فتسموا ... عطاردا في مكانه

فأجبته بما نصه:

يا من بسحر بيانه ... أضحى بديع زمانه
وحاك منه قريضا ... مطرزا ببيانه
أنشأته في أوانه ... أسحر بابل هذا
أبرزته من صوانه ... أم عقد در نظيم
بالطرس آي جمانه ... أم ثغر أشنب لاحت
أبشر بإنجاز وعد ... من ممسك بعنانه
ودم بأفق المعالي ... تسمو سمي عنانه

* * * * * *

ونص الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله الجواب والله سبحانه ولي التوفيق لإصابة الصواب،

السور توقيفية من النبي(ص):

أما المسألة الأولى فبأنه قد نقل الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب الإتقان عن بعض الأيمة، أن ترجمة السور توقيف من النبي(ص)، قال وقد ثبت التوقيف في ذلك في الأحاديث والآثار هـ.

التوقيف لغة:

التوقيف لغة التعليم ولا يلزم من ورود التوقيف في شيء أن يكون ذلك الشيء توقيفيا، أي موقوفا على ذلك التوقيف.

البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيف؟

ونقل عن البدر الزركشي ما نصه، فينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيف أو بما يظهر من المناسبات، فإن كان الثاني، فما يصدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي استفاق رسم لها وهو بعد هـ، وأقره وفيه نظر، فإن ما استبعده هو الظاهر من فعل الأيمة.

فقد كان الحبر ابن عباس يسمي الحشر النظير، قال الحافظ بن حجر كأنه كره تسميتها بالحشر، ليلا يظن أن المراد به يوم القيامة، وإنما المراد إخراج بني النظير، وكان ابن عيينة يسمى الفاتحة بالواقية، وكان الهذلي يسمي سورة طه سورة موسى، وكان خالد بن معد يسمى البقرة سورة الفسطاط، وكان ابن عباس أيضا يسمي التوبة بالفاضحة، وقال ماكنا نسميها إلا المقشقشة أي المبرية من النفاق.

* * * * * *

فهذا ونحوه مما يدل على أن التسمية تجوز بحسب المناسبة، وقد كره ابن سيرين تسمية الفاتحة أم الكتاب، وكره الحس أن تسمى أم القرآن، ووافقهما بقي بن مخلد، وذلك أيضا مما يدل على أن للرأي في هذه التسمية مجالا، وإن كان ما كرهوه من ذلك ثابتا فقد أخرج الدارقطني وصححه، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة أن رسول الله(ص) قال: إذا قرأتم الحمد لله فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها، وأخرج أحمد في مسنده، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفاسيره عن أبي هريرة عن رسول الله(ص) أنه قال: أم القرآن هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم هـ.

وكراهة هؤلاء ككراهة أن يقال سورة كذا، ولعله اعتمد ما رواه ابن نافع عن أنس مرفوعا، لا تقولوا سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، كذلك القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها ال عمران ولا سورة النساء، كذلك القرآن كله.

* * * * * *

وهذا الحديث قال فيه الإمام أحمد إنه منكر، وقال الحافظ بن حجر في أماليه، أفرط ابن الجوزي في إيراد هذا الحديث في لم يذكر مستنده إلا قول أحمد، وتضعيفه عيسى يعني راويه، وهذا لا يقتضي وضع الحديث، وقد قال الملاسي في عيسى: إنه صدوق يخطئ كثيرا هـ.

وقال الحافظ السيوطي في اللئالي، وقد صح موقوفا على ابن عمر أخرجه البيهقي في الشعب عنه، بإسناد على شرط الشيخين والله أعلم.

* * * * * *

قلت هذا اللفظ أعني سورة كذا في الحديث الصحيح عن النبي(ص)، فاخرج أبو عبيد وأحمد وجميد بن زنجويه في فضائل الأعمال، ومسلم، وابن الطويس، وابن حبان، والطبراني، وأبو ذر النمروي في فضائله، والحاكم، والبيهقي في سننه عن أبي أمامة الباهلي، قال سمعت رسول الله(ص) يقول اقرءوا القرآن فإنه ياتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما ياتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صواق تحاجان عن صاحبهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخدها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة.

* * * * * *

وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله(ص) قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة هـ، إلى غير ذلك مما ورد في الصحيح، وقد ترجم بعض السور على لسان النبوءة بتراجم كما في الصحيح، وأما أنه(ص) سمى جميعها فهو ما نقله السيوطي عن بعضهم في تعريف السور كما قدمناه.

* * * * * *

وأما المسألة الثانية فحاصلها استشكال قوله في التسهيل، وكذا قرأت هودا ونحوه، إن نويت إضافة السورة حيث شبه لفظي هود باسم الأب في كونه يؤنث على حذف مضاف مؤنث، فلا يمنع من الصرف، وتقرير الإشكال أن يقال المقدر كالمذكور ونحو لو قلنا سورة هود، فأما أن يكون هذا المركب الإضافي علما على السورة، فلا وجه لصرف هود، إذ هو جزء من علم، فيحكم له بحكم العلم، كأبي هريرة على الصحيح، وهو المأخوذ من كلام سيبويه، وأما أن يكون الإسم العلم هو المضاف إليه والإضافة بيانية أي سورة هي هود، ولا وجه لصرفه أيضا، إذ هو علم مؤنث منقول إليه من مذكر، وإما أن لا يكون واحد من الجزءين علما، وإنما قصد لفظ هود وأضيفت السورة إلى اللفظ المقصود، والإضافة لملابسة ذكره فيها من إضافة اسم الكل إلى بعض أجزائه وح فلا وجه لتحتم صرفه، بل يجوز فيه الوجهان، لقوله في التسهيل، صرف القبائل والأرضين والكلم مبني على المعنى، فإن كان أبا أو حيا أو مكانا أو لفظا، صرف وإن كان أما أو قبيلة أو بقعة أو كلمة أو سورة لم يصرف هـ.

* * * * * *

ومحل الإستشهاد قوله، والكلم مع قوله أو لفظا، وقوله أو كلمة، فهود حيث قصد لفظه يجوز فيه الصرف، باعتبار اللفظ وعدمه، باعتبار الكلمة، فما بال من أوجب صرفه، والجواب أنه لا يتعين الحصر في الأوجه الثلاثة، لجواز أن يراد بهود في هذا التركيب اسم النبي عليه السلام، والإضافة لملابسة ذكر قصته، وهذا هو المراد في قوله، وكذا قرأت هود ونحوه، إذ نويت إضافة السورة كما يدل عليه قوله في المشبَّه به، وقد يؤنث اسم الأب على حذف مضاف مؤنث، وذلك كما في قولك، فصلت، أي قبيلة بني تميم، فتميم إسم للأب لا محالة، أضيفت إليه القبيلة للملابسة فكذلك يقال في هود انه اسم للنبي أضيفت إليه السورة للملابسة، وأما إن أريد به اسم السورة فإنه يمنع كما لو أريد بتميم نفس القبيلة، وليس هذا مراد صاحب التسهيل كما هو واضح.

* * * * * *

قال سيبويه رحمة الله عليه، وتقول هذه هود كما ترى إذا أردت أن تحذف سورة من قولك هذه سورة هود فيصير هذا كقولك هذه تميم، كما ترى، وإن جعلت هود إسم السورة لم تصرفها، لأنها تصير بمنزلة امرأة سميتها بعمرو، والسورة بمنزلة النساء والأرضين هـ، المراد منه وهو على طبق كلام التسهيل.

* * * * * *

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وأصحابه أجمعين وكتب عبد الله تعالى عمر بن عبد الله الفاسي وفقه الله آمين.

ح ع: د2438.

في ظلال الحديث

الحديث الخامس والثمانون: فضل قضاء حوائج الناس

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" رواه مسلم.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4/ص1997/ح2580 وفي الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج4/ص2074/ح2699. والبخاري في صحيحه، وغيرهما.

درجة الحديث:

هذا حديث صحيح متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما.

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه فقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا قتيبة بن سعيد: الشيخ الحافظ محدث خراسان أبو رجاء الثقفي مولاهم البلخي البغلاني ولد سنة تسع وأربعين ومائة وسمع من مالك والليث وابن لهيعة وشريك وطبقتهم وعنه الجماعة سوى ابن ماجة وموسى بن هارون والحسن بن سفيان والفريابي وأبو العباس السراج وخلائق وكان ثقة عالما صاحب حديث ورحلات وكان غنيا متمولا.

حدثنا ليث: هو أبو الحارث ليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري. قال أحمد الليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث وعن يحيى بن معين أنه قال ليث بن سعد ثقة وقال علي بن المديني الليث بن سعد ثبت وقال أبو زرعة صدوق. توفي رحمه الله ليلة الجمعة في نصف شعبان سنة 175.

عن عقيل: هو أبو خالد عقيل بن خالد بن عقيل الحافظ الحجة الأموي الأيلي، قال ابن معين ثقة وكذا وثقه غير واحد واحتج به أرباب الصحاح وقال أبو زرعة صدوق ثقة، روى له الجماعة ومات بمصر فجاة في سنة 144هـ.

عن الزهري: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي المشهور بالزهري. رأى عشرة من أصحاب رسول الله (ص)، وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلا روى عنه الناس.

عن سالم: هو أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ويقال أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه الحجة أحد من جمع بين العلم والعمل والزهد والشرف سمع أباه وعائشة وأبا هريرة وغيرهم وسمع منه خلق كثير وكان شديد الأدمة علة الخلق خشن العيش يلبس الصوف تواضعا ويهنأ بعيره ومحاسنه كثيرة وكان أبوه معجبا به وكان يقول:

يلومونني في سالم وألومهم

وجلدة بين العين والأنف سالم

قال مالك لم يكن أحد في زمانه أشبه منه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل وقال أحمد وإسحاق أصح الطرق الزهري عن سالم عن أبيه وقيل كان سالم يشتري الثوب بدرهمين وقال له سليمان بن عبد الملك أي شيء تأكل قال الخبز والزيت فإذا وجدت اللحم أكلته وقيل إنه دخل في ثياب رثة غليظة على سليمان فأجلسه معه على سرير الخلافة مات سنة106، وقد شاخ رحمه الله تعالى.

عن أبيه: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر، القرشي العدوي المكي ثم المدني رضي الله عنهما، ولد في السنة الثانية من البعثة، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه وأمه وعمره إحدى عشر سنة، رده النبي (ﷺ) يوم بدر إشفاقا عليه لصغر سنه، أول غزواته الخندق ولم يتخلف بعدها أبدا، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه زينب بنت مظغون، روى علما كثيرا عن النبي (ﷺ)، وهو من الستة المكثرين من رواية الحديث (وهم:أبو هريرة ثم ابن عمر ثم ابن أنس ثم ابن عباس وجابر وعائشة)روي له2630 حديثا. كان من فقهاء الصحابة ومتقيهم وزهادهم، حج ستين واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها، ومناقبه كثيرة. قال ابن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر، توفي رضي الله عنه قرب مكة بعد الحج سنة 74هـ.

أهمية الحديث:

هذا حديث غاية في الأهمية، إذ يحتوي على أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو حفظ الدماء والأعراض والكرامة الإنسانية، ويؤصل لمبدأ التضامن الاجتماعي، ويرفع أهله إلى مقام رفيع، وهو أن يكون الله عز وجل في حاجتهم ماداموا في حاجة الناس، وما أحوج الأمة الإنسانية، عموما، والإسلامية، خصوصا، إلى إحياء مثل هذه التعاليم الربانية السامية، إحياء التعايش الاجتماعي الذي يترتب عليه السلم والأمن والنهضة والتنمية على الأرض.

مفردات الحديث:

"من كان في حاجة أخيه": أي أعانه عليها، ولطف به فيها.

"المسلم أخو المسلم": هذه أخوة الإسلام، فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم الأخوة، ويشترك في ذلك الحر والعبد والبالغ والمميز.

"ولايسلمه" أي لايتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

المعنى العام:

1. أخوة الإسلام: محبة ونصرة وحفظ للكرامة.

كما هو معلوم من سيرة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، أنه لما قدم إلى المدينة، كان أول ما قام به، أن بنى مسجدا يعبد فيه الله تعالى وهو مسجد قباء، وبعده على الفور بنى صرح الأخوة الدينية وذلك بأن آخى بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين، ولقد ضرب الله عنهم أجمعين أروع الأمثلة لهذا الأصل الأصيل في الإسلام، وهنا في هذا الحديث الذي بين أيدينا ينبهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يمكن أن يخدش أو يضيع هذا الرباط وهذه الأصرة التي أصبحت بفضل الإسلام، أعظم وأفضل من آصرة أخوة القبيلة أو النسب، وعلى هذا الأساس وباختصار يأتي تحريم ظلم المسلم، وهو من باب التذكير لأن الظلم محرم في حق الله (وهو الشرك) ومحرم في حق الخلائق جميعا، فلقد حرمه الله تعالى وجعله محرما بين عباده، ومنه يأتي تحريم خذلان المسلمين أفرادا وجماعات، وعدم تسليمهم إلى مايؤذيهم في أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم أو ذرياتهم، أو أوطنهم...

2. تفضيل الله بين عباده

لقد فاضل الله بين عباده في الشرف والجاه، والعلم والعبادة، وسخر بعضهم لبعض ليتحقق الاستخلاف وتعمر الأرض، ويعم البناء الحضاري في ظل السلم والأمن، (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم) الأنعام:165، وقال تعالى: (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) الزخرف: 32، وكلما كان المرء في خدمة الناس وتنمية ماينفعهم، إلا وكان أفضلهم وأقربهم إلى الله، وإن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

3. الحث على التعاون وقضاء الحوائج وفوائد ذلك:

وفي شكوى الفقير ابتلاء للغني، وفي انكسار الضعيف امتحان للقوي، وفي توجع المريض حكمة للصحيح، ومن أجل هذه السنة الكونية جاءت السنة الشرعية بالحث على التعاون بين الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي في تفريج كروبهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، تحقيقا لدوام المودة، وبقاء الألفة، وإظهار الأخوة. والدين ذل العبادة وحسن المعاملة، قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي: "وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأن أضدادهم من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه".

4. قضاء الحاجات من صفات الرسل

ونفع الناس والسعي في كشف كروبهم من صفات الأنبياء والرسل، فالكريم يوسف عليه السلام مع مافعله إخوته جهزهم بجهازهم، ولم يبخسهم شيئا منه، وموسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، رفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وخديجة رضي الله عنها تقول في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" متفق عليه، وأشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل عن حاجة لم يرد السائل عن حاجته، يقول جابر رضي الله عنه: ماسئل رسول الله شيئا قط فقال: لا. "أخرجه البخاري ومسلم.

والدنيا أقل من أن يرد طالبها.

5. السلف الصالح وقضاء الحاجات:

وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأرامل، يسقي لهن الماء ليلا، وكان أبو وائل رحمه الله يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم، فيشتري لهن حوائجهن ومايصلحهن.

6. جزاء تفريج الكربات وكشف الغموم:

وإن خدمة الناس ومسايرة المستضعفين دليل على طيب المنبت، ونقاء الأصل، وصفاء القلب، وحسن السريرة، وربنا يرحم من عباده الرحماء، ولله أقوام يختصهم بالنعم لمنافع العباد، وجزاء التفريج تفريج كربات وكشف غموم في الأخرة، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة" رواه مسلم، وفي لفظ له: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه".

الساعي لقضاء الحوائج موعود بالإعانة، مؤيد بالتوفيق، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. في خدمة الناس بركة في الوقت والعمل، وتيسير ماتعسر من الأمور، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة".

7. الدنيا دار ابتلاء:

وفي بذل الجاه للضعفاء ومساندة ذوي العاهات والمساكين وكل ذوي الحاجات نفع في العاجل والأجل، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره" بدعوة صالحة منهم مستجابة تسعد أحوالك.

والمعروف ذخيرة الأبد، والسعي في شؤون الناس زكاة أهل المروءة، ومن المصائب عند ذوي الهمم عدم قصد الناس لهم في حوائجهم، يقول حكيم بن حزام: (ما أصبحت وليس على بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب)، وأعظم من ذلك أنهم يرون أن صاحب الحاجة منعم ومتفضل على صاحب الجاه حينما أنزل حاجته به، يقول ابن عباس: "ثلاثة لاأكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل اغبرت قدماه في المشي إلي إرادة التسليم علي، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله" قيل: ومن هو؟قال: "رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله، ثم رآني أهلا لحاجته فأنزلها بي" أخرجه البيهقي في الشعب.

8. آداب طالب الحاجة والمستشفع:

وعلى طالب الحاجة والشفاعة أن لايطلب الحوائج إلا من أهلها، ولايطلبها في غير حينها، ولايطلب مالا يستحق منها، فإن من طلب من لايستحق استوجب الحرمان، وليتخير من الكلام أطيبه، ومن القول أعجبه، ولالوم على من ردت شفاعته ولو عظم قدر الشافع، فقد ردت امرأة شفاعة سيد الخلق حينما قال لها: "لو راجعت زوجك فإنه أبو ولدك" قالت: يارسول الله، آتأمرني؟ قال: "لا، إنما أنا شافع"قالت: فلا حاجة لي فيه متفق عليه.

وإذا قضيت حاجة المرء فينبغي الثناء على الشافع وعلى المشفوع عنده، يقول عليه الصلاة والسلام: "لايشكر الله من لايشكر الناس" صحيح رواه البخاري وغيره، ويقول: "من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه" صحيح رواه غير واحد.

وأخيرا:

إن المتأمل لهذا الحديث ومثله، يجده أنه يؤسس للتنمية المستديمة الحقيقية، فحفظ كرامة الإنسانية، أساس كل تنيمة حقيقية، وإهدار الكرامة سبب التخلف والظلم سبب الفتن، وإن ما دفعني للكتابة مجددا في هذا الموضوع هو تلكم السنة الحميدة وذلكم التطبيق المتجدد لهذا الأصل العظيم، وذلك من خلال مايقوم به أمير المؤمنين الملك محمد السادس حفظه الله ووفقه لكل خير، وهو يرحل إلى أبناء شعبه هنا وهناك يحيي هذه السنة الحميدة في شهر الصيام والقيام، والبذل الإحسان، فأنعم بها من سنة حميدة، وخطوات مباركة كريمة.والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

بشريات الصيام في رمضان

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بقدرته يكور النهار على الليل، ويكون الليل على النهار... الحمد لله الذي برحمته ومشيئته تتوالى دورات الفلك بانتظام، جعل عدة الشهور اثنى عشر شهرا.. منها شهر رمضان... أشهد أنه الله الحي القيوم... وحده لاشريك له في ذاته وأفعاله وصفاته.. جعل بفضله وكرمه ومنه كل أعمال ابن آدم له إلا الصوم فقد خص به نفسه جل وعلا، وهو المنفرد وحده بجزائه... وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله وعبده، خير من صام وقام إيمانا واحتسابا.. وعلم المهتدين بهديه من الصحب الأبرار، ومن تبعهم من البررة الأخيار، أنه: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه" وعلمهم أيضا أن :"من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ ماينبغي له أن يتحفظ، كفر ماقبله" صلى الله عليه وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، والرسول الأمين، وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه واستنار بنوره إلى يوم الدين... علمنا أن نصوم وكيف نصوم...وبشرنا ببشريات رمضان حين أخبرنا عليه صلاة الله وسلامه: "أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي، أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك...وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة...وأما الرابعة فإن الله، عز وجل، يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي.. وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا... فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم"...

أبشر أيها المؤمن الصائم بنظرة الله تعالى إليك في أول ليالي رمضان المبارك... واستعد لهذه النظرة المرتقبة المرجوة بما يليق بصاحبها رب العزة جل وعلا من أوصاف الجمال والجلال والكمال.. إنها نظرة تستحق أن يستعد لها المؤمن الصائم أجمل الاستعداد وأكمل الاستعداد...إنه الله تعالى الذي سينظر إليك... فاستعد لهذه النظرة بأن تعمل ما في وسعك لكي تحقق في نفسك ومن حولك المفهوم الصحيح والمعنى الأمثل للإحسان في ديننا الإسلامي العظيم... أي (الإحسان) كما شرحه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أوفى شرح وأوجزه، بما آتاه الله تعالى من جوامع الكلم ومعجزات إلا البلاغة والبيان، حين قال عليه صلاة الله وسلامه مفسرا مفهوم الإحسان: "هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك".

أبشر يا أخي المؤمن الصائم المحتسب فإن الله تعالى ينظر إليك، ونظرته إليك إذا تمت لك وأنت محقق لمفهوم الإحسان بكل ما يشمله ويتطلبه من جهد ومشقة ونفقة وصدق وصدقة وعبادة حق... فإن تلك النظرة.. نظرة رب العزة جل وعلا لي ولك ستكون لنا جميعا وقاية دائمة من العذاب... ولعلكم لاحظتم أيها المؤمنون الصائمون المحتسبون أن رسول الله حين ذكر العذاب لم يتبعه بصفة أو إضافة تحدد بعذاب الأخرة أو عذاب الدنيا... فهذه النظرة المباركة. إذن، من الله الرحمن الرحيم وقاية من عذاب الدنيا وعذاب الأخرة..ويحق لنا أن نفهم هذا من بشرى رسول الله لنا نحن الصائمين المحتسبين مادمنا في القرآن الكريم مأمورين بأن نسأل الله تعالى ألا يحملنا ما لا طاقة لنا به، وأن نسأله متضرعين مبتهلين: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار... أبشر أيها المؤمن الصائم المحتسب فإن نظرة الله تعالى إليك وإلى جميع المؤمنين من أمثالك عامة شاملة للأمة الإسلامية بأسرها مشارق الأرض ومغاربها... فتوجه إلى الله أيها المؤمن الصائم، حينئذ، مغتنما مناسبة نظرة الله لك لتسأله أن يرأب صدع أمة الإسلام ويلم شعثها ويجمع شملها ويعود بها إلى صراط العزيز الحميد، وينصرها على أعدائها في الداخل والخارج... وأن كيد من يكيد لها في نحره، ومكر من يمكر بها المكر السيء يحيق به...

اغتنم فرصة نظر الله إليك يا أخي المؤمن لتدعو بما شئت من خير الدنيا والأخرة... واغتنم هذه الفرصة لتدعو رب العزة جل وعلا أن يصلح ما بينك وبينه قبل كل شيء وبعد كل شيء... لأن في صلاح مابين العبد وبين الله صلاح مابينه وبين الناس، فهذا مترتب عن هذا قطعا، والعكس ليس بصحيح دائما إلا إذا وجدت النية الحسنة الصادقة الصافية، ووجد الإحسان بمفهومه الإسلامي الصحيح....

أبشر أيها المؤمن الصائم المحتسب، إن ما قد يستقذره الناس من رائحة فمك وأنت صائم، خصوص،ا حين تمسي وتطول فترة صيامك... إن رائحة فمك هذه أطيب عند الله من رائحة المسك الأذفر.. لماذا؟ لأنك طاهر آنذاك قلبا وقالبا... تركت طعامك وشرابك وجميع شهواتك الدنيا لله وحده... لأن جميع العبادات قد تبدو ظاهرة للعيان إلا الصوم، فلا يستطيع أحد أن يعلمه حق العلم إلا الله...ولهذا جعله له. وهو وحده يجزي به...تكفل بذلك وحده... فيالعظمة الله وجلاله الذي صمت له... وما أعظمك يا أخي الصائم حين سعيت لتلحق بمستوى أعمال الملائكة الكرام الذين لايأكلون ولايشربون ولايقضون شهوة من شهوات البدن المركبة فينا نحن البشر.. بل كل عملهم تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، وتنفيذ أوامر الله القوي العزيز... أنت كذلك تفرغت للعبادة بكل ماتتضمنه هذه العبادة من صلوات وأذكار وقضاء مصالح العباد، وأداء ما عليك من واجبات أنت مطالب بها لنفسك وعيالك وأمتك...

أبشر أيها المؤمن الصالح الصائم المحتسب، إنك حين تدور بين الناس تعمل وتجد وتكد صائما محتسبا تنتفع وتنفع، تبتغي من فضل الله وتذكر الله...إنك حينئذ طاهر مطهر رغم ما قد يفوح من فمك من رائحة قد يستقذرها من لايعلمون... أبشر يا أخي المؤمن الصائم المحتسب بصومك وبمقتضيات صومك من ترك اللهو واللغو والجدال والرفث والمشاجرة والخصام وتوفز الأعصاب وتوترها... أبشر بصومك وبإقبالك على عملك وقت عملك وإخلاصك فيه، وبانصرافك إلى عبادتك وذكرك وتلاوتك لكتاب ربك حين تنصرف إلى كذلك... إنك بذلك طاهر مطهر تكاد ترتفع إلى مرتبة الملائكة الكرام...أي والله إنك لكذلك... بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بأن الملائكة لا تغار منك لأنك تتطلع إلى الاقتراب من درجة الإيمان التي لها بفضل الله... بل إنها تساعدك بأن تستغفر لك في كل يوم وليلة من ليالي وأيام رمضان...

أبشر يا أخي المؤمن الصائم، فإن الجنة دار السلام نعيم الله تستعد وتتزين لك... ويأمر الله حين يقول لها عز من قائل في هذا الشهر العظيم : استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي... صم يا أخي حق الصيام، تشوق إلى دار الله وكرامته وجنته ونعيمه، أسأل الله لي ولك حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، والوقاية من عذاب النار...

وآخر بشريات رسول الله لك أيها المؤمن الصائم المحتسب في هذا الشهر الجليل، وهي مسك الختام غفران الله تعالى لك ولأمثالك.. ليس في ليلة القدر... فليلة القدر لها قدرها الخاص العظيم... وإنما في آخر ليالي رمضان... وأنت في ذلك عند الله تعالى بمثابة عامل مخلص أدى عمله بإتقان لدى صاحب محف لايجور ولايحولا، حين فرغ العامل من عمله أدى إليه أجره وافيا قبل أن يجف عرقه، ولله المثل الأعلى...

ورسول الله صلى الله وآله وصحبه وسلم... هذا النبي الكريم والرسول الأمين... الذي لم يكن له هم إلا صلاح أمته، عد هذه البشريات الخمس العظمى التي خص الله بها أمته في هذا الشهر المبارك عطاء كريما من الله تعالى له دون سائر الأنبياء قبله... وهذا دليل على أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لم يكن يرى إلا أمته ومايصلحها في الدنيا، ومايرضي عنها ربها... لم يكن عليه صلاة الله وسلامه يفكر في نفسه... واقتداء به صلى الله عليه وسلم علينا أن نسعى جهدنا لكي نهتم بأمور المسلمين قبل أمورنا... ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم والعياذ بالله... فاللهم انظر إلينا ولاتعذبنا... اللهم طهر قلوبنا وأصلح ما بيننا وبينك ليصلح مابيننا وبين الناس... وأصلح سرائرنا وظواهرنا لنستحق استغفار ملائكتك... وأرضا من هموم الدنيا وأكدارها بالركون إليك والاعتماد عليك.... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا... وجعله خيرا في ديننا ودنيانا... وجعله من أسباب التقوى... وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمي محمد بن عبد الله رسول الله وآله وصحبه والمهتدين بهديه إلى يوم الدين... صلى الله عليه وسلم كما علمنا أن نصوم هذا الشهر الكريم وبين حدود الله فيه... وسن لنا فضله العظيم، وقال عنه فيما قال:"لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان".

أيها المؤمن الصائم المحتسب، هذه بعض آداب الصيام، أقتبسها لك من أحاديث رسول الله صلى الله عليه واله وصحبه وسلم:

1. لاترفث أي لاتنطق أو تفعل فاحشة من القول والفعل... دع الفحش ولو مازحا..

2. لاتصخب: لاترفع صوتك على أحد ولو بالنصح والوعظ..

3. إن حاول أحد أن يشاتمك أو يخاصمك مهاما كان السبب، ومهما غلت دماؤك في عروقك فلا تزد على أن تقول لنفسك أولا ثم له ثانية: إني صائم، إني صائم..

4. دع قول الزور والعمل به من أي نوع كان.. لأنه مفسد لأجر الصيام...

5. دع اللهو واللغو: أي كل ما لا فائدة فيه ولاضرر... قولا وفعلا... واستبدلهما بما يفيد من القول والعمل لصالح الدين والدنيا...

اللهم ياأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أعنا بقدرتك حتى نصوم هذا الشهر الكريم كما تحب وترضى... وجنبنا الرفث والفسوق والعصيان... وهدئ أعصابنا وألهمنا السداد والصواب والرشد فلا نصخب في حق ولاباطل... مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين أعنه في هذا الشهر الكريم ونحن معه على حلاوة مناجاتك، وتنفيذ شرعك في أمرك ونهيك.. وهب له علما نافعا وعملا متقبلا... وأقر عينه بولي عهده الفرحة المتواصلة والبشرى الدائمة مولانا الحسن، وبصنوه السعيد مولانا الرشيد وبسائر أهله وشعبه... وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه والمهتدين بهديه... وأستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين...

علم التوقيت والصفيحة الجامعة (4/4)

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ . الباب 129: في معرفة أي موضع يكون النهار والليل فيه من أربع وعشرين ساعة شهرا واحدا أو شهرين أو ثلاثة أو ما شئت إلى ستة أشهر وباقي السنة تكون أقل من أربع وعشرين.

. الباب 130: في معرفة الموضع الذي يطلع فيه الثور قبل الحمل والحوت قبل الدلو ويكون الثور أيضا يطلع قبل الدلو وكذلك تغيب العقرب قبل الميزان والميزان قبل السنبلة والسنبلة قبل الأسد ويكون غروب العقرب قبل السد.

. الباب 131: في معرفة الموضع الذي تظهر فيه الاثنا عشر برجا في نظرة واحدة.

. الباب 132: في معرفة البلاد التي لايكون فيها للقائم ظل وفي أي يوم يكون.

. البا 133: في معرفة البلاد التي لاينعكس فيها الظل إلى الجنوب وفي أي يوم يكون إلى أي يوم يكون.

. الباب134: في معرفة الموضع الذي لايختلف فيه ظل في اليوم الواحد.

. الباب 135: في اختلاف مابين ظل نصف نهار بلدك وظل نصف نهار بلد آخر.

. الباب136: في معرفة اختلاف مابين ظل بلد وبلد آخر أي وقت شئت.

. الباب137: في معرفة ارتفاع الشمس والكوكب ومعرفة الظل على دائرة نصف النهار وعلى سطح معدل النهار.

. الباب 138: في معرفة ارتفاع الشمس أو الكوكب والظل على سطح دائرة وسط مشرق بلدك ومغربه.

. الباب 139: في معرفة نهار يوم معلوم لأي عرض يكون.

. الباب140: في معرفة ساعات مستويات معلومة ليوم معلوم لأي عرض يكون.

. الباب 141: في معرفة طلوع كوكبين معا وغروبهما وطلوع كوكب ودرجة معا وغروبهما أيضا في أي عرض يكون وهل العرض شمالي أو جنوبي.

. الباب 142: في معرفة في أي عرض يكون الكوكب أو أي درجة شئت على نقطة سمت الرأس.

. الباب 143: في معرفة أي عرض يطلع أي كوكب شئت على سمت معلوم.

. الباب 144: في معرفة ارتفاع الشمس أو الكوكب في دائرة نصف النهار وهو وتد الأرض ومعنى الارتفاع في هذا الباب هو انخفاض الشمس والكوكب على الأفق وهو أيضا ارتفاع الشمس والكوكب في الآفاق الجنوبية المسامتة الآفاق التي غابت عنها.

. الباب 145: في معرفة انخفاض الكواكب تحت الأرض في أي بلد كنت لأي وقت شئت من ليل أو نهار وهو ارتفاعها في نظير عرض بلد من العروض الجنوبية من قبل ارتفاع الشمس أو الكوكب أو من قبل مامر من ساعة الليل والنهار الزمانيات والمستويات.

. الباب 146: في معرفة انخفاض الشمس تحت الأرض وسمتها في أي بلد كنت لأي وقت شئت من الليل وهو ارتفاعها في نظير عرض بلدك من العروض الجنوبية من قبل ارتفاع الكوكب أو من قبل ساعات الليل الزمانيات والمستويات.

. الباب147: في معرفة الكوكب السيار هل هو راجع أو مستقيم.

. الباب 148: في معرفة تحويل سني العالم.

. الباب 149: في معرفة تحويل سني المواليد.

. الباب 150: في معرفة تسوية البيوت الاثنى عشر على مذهب بطليموس.

. الباب 151: في معرفة مطارح الشعاع على مذهب بطليموس.

. الباب 152: في معرفة التسيير على مذهب بطليموس.

. الباب 153: في معرفة مطارح الشعاع على مذهب البتاني وهو مذهب علماء هذه الصنعة.

. الباب 154: في معرفة تسوية البيوت على مذهب هرمس.

. الباب 155: في معرفة مطارح الشعاع على مذهب هرمس.

. الباب 156: في معرفة التسيير على مذهب هرمس.

. الباب 157: في معرفة ارتفاع الصوامع والنخيل وغير ذلك مما هو ظاهر فوق الأرض.

. الباب 158: في معرفة مالا يوصل إلى أصله ومايزيد الأعلى على الأخفض كالجبل وغير ذلك.

. الباب 159: في معرفة مابين مكانين ومايزيد الأعلى على الأخفض.

. الباب 1160: في معرفة عمق البئر.

. الباب 161: في معرفة سعة النهر.

أما العمل بالأسطرلاب بصفة عامة فقد ألفت عليه كتبا كثيرة، وللمغاربة في ذلك سهم وافر، وقد طبعنا على الكمبيوتر شرحين قيمين في العمل بالأسطرلاب وهما للمرحوم العالم المتبحر سيدي محمد بن عبد السلام بناني المتوفى عام 1163هـ/1750م.

له شرح صغير على منظومة أبي زيد عبد الرحمان الفاسي المتوفى عام 1096هـ في العمل بالأسطرلاب، فرغنا من تدريسه للطلبة بمسجد السنة بالرباط سنة2001م، توجد نسخ منه بالخزانة الملكية رقم 492، ورقم 259، ورقم 388. رقناه على الكمبيوتر.

وله شرح كبير على المنظومة نفسها رقناه على الكمبيوتر أيضا.

كما ساعدنا على ذلك تخطيط صفائح الأسطرلاب على الكمبيوتر، الشيء الذي سهل تدريس هذه المادة، حيث أصبح جهاز الأسطرلاب متوفرا عند جميع الطلبة.

كما قامت منظمات الأيسيسكو بطبع كتابين في العمل بالأسطرلاب للصوفي.

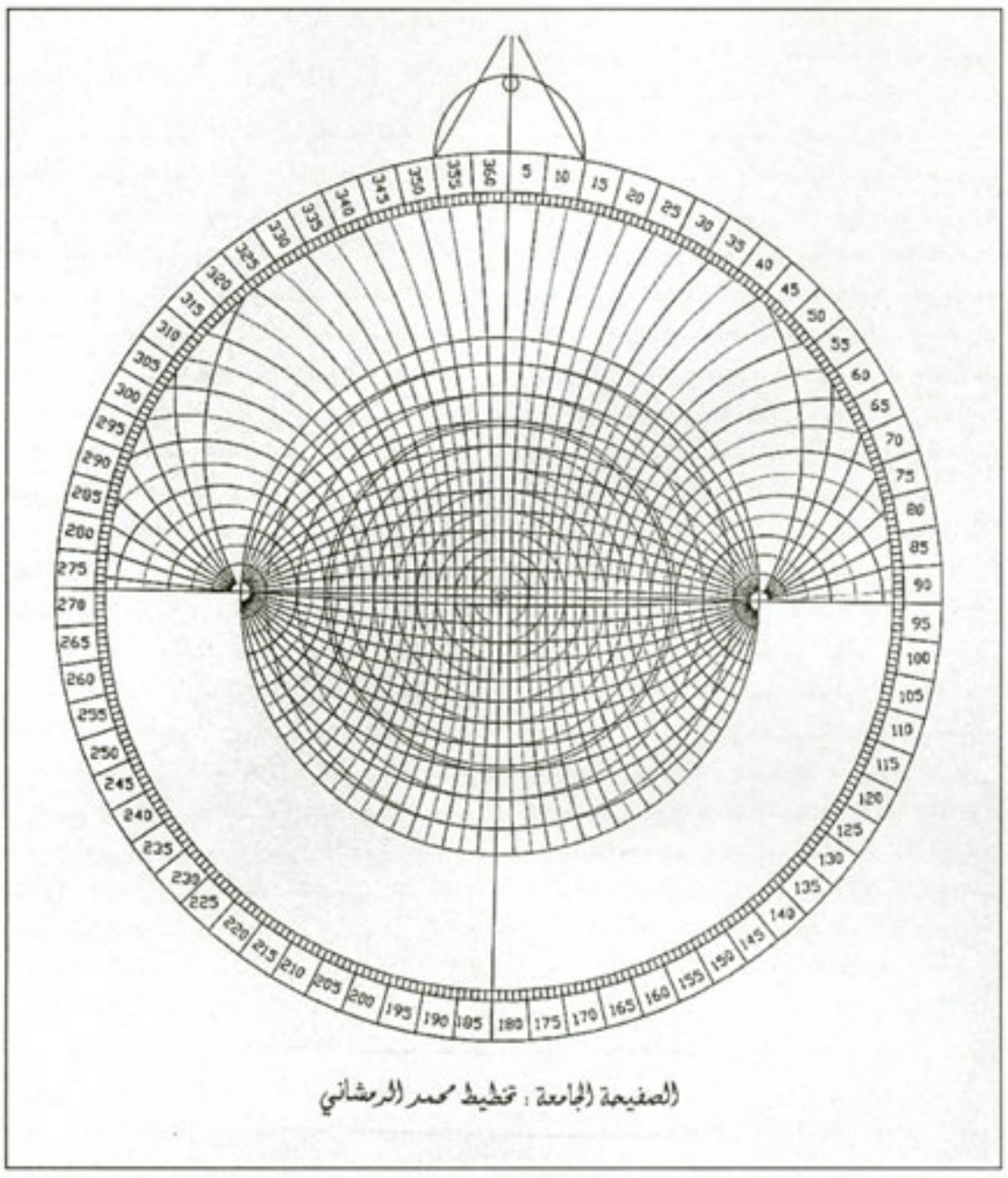

الصفيحة الجامعة : تخطيط محمد الرمشاني

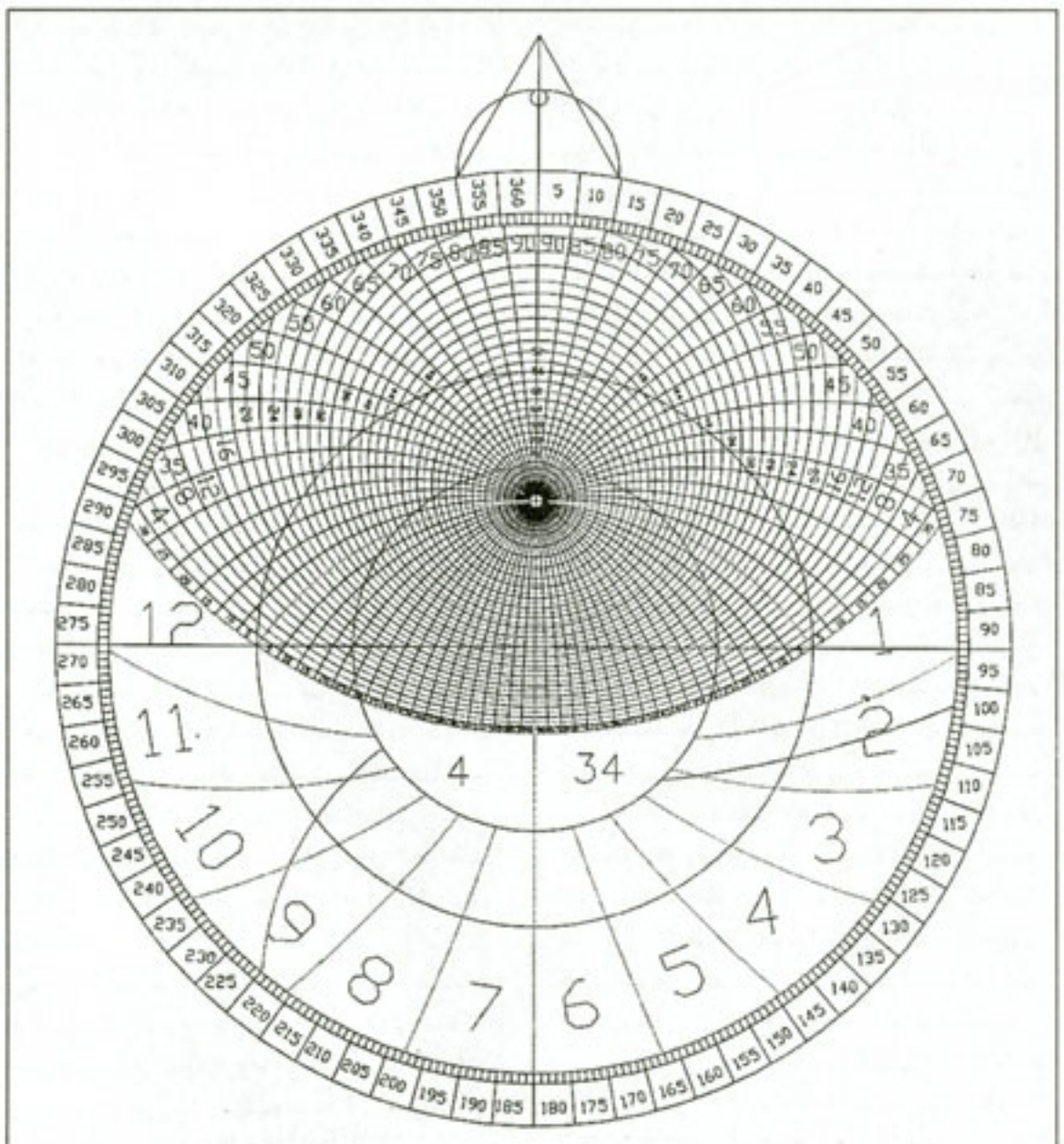

أسطرلاب لعرض الرباط : تخطيط محمد الرمشاني

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

■ إعداد الأستاذ: عبد الرزاق اصبيحي

■ يقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم: "طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى".

إن هذه الآية الكريمة تصلح اليوم لتكون شعارا لكل ملتزم بدينه، ولكل ممن يريد الإنابة إلى ربه، خاصة وأن هناك من المسلمين من يظن أنه إذا اتبع طريق الهدى والإيمان، وترك طريق الفسوق والعصيان، فإنه مطلوب منه أن يصيبه الهم والغم، ويعلو وجهه الحزن والكآبة، وإلا فإن إيمانه مشكوك فيه.

ومثل هذا الاعتقاد ناتج عن جهل كبير بهذا الدين من طرف بعض المسلمين. كما هو ناتج، أيضا، عن تدليس خطير من طرف أعداء الدين الذين يريدون بذلك أن يصدوا المسلمين عن دينهم، ويطفئوا نور الله في قلوبهم. وهذا منهجهم ومسلكهم منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال جويبر عن الضحاك: لما أنزل الله القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم قام به هو وأصحابه، فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى. فأنزل الله تعالى: "طه. ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى". قال قتادة: لا، والله ماجعله شقاء، ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة. وقال القرطبي في تفسيره أن المراد بهذه الآية أن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في درك كل سعادة.

والذي ينبغي أن نعلمه ونفهمه أن السعادة المترتبة عن الإيمان هي سعادة عاجلة وآجلة، في الدنيا قبل الآخرة. قال تعالى: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون".

فأول أثر للإيمان على المؤمن هو الحياة الطيبة، ثم الجزاء الأوفى في الدار الآخرة. ولذلك إذا كان أحدنا ملتزما بالدين، سائرا في الطريق المستقيم، ولم يجد لذلك أثره في حياته الدنيا، فليعلم علم اليقين أن عليه أن يراجع نفسه، ويفتش إيمانه. إذ لايعقل ولايقبل أن يجتمع الإيمان والشقاء. لايمكن أن يكون هناك إيمان مع العيش الضنك، لأن الله، عزوجل، جعل ضنك المعيش جزاء لمن أعرض عن ذكره، وصد عن سبيله. قال تعالى: "فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى".

وقال عز وجل: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون".

لابد أن نجد السعادة تغمر قلوبنا إذا كنا على طريق الهدى والإيمان، وإلا فإن هناك خلل لماينبغي أن نبحث عنه لنصلحه. لأن الآيات والأحاديث التي تقول بالسعادة الدنيوية للمؤمنين كثيرة. قال تعالى : "وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله" وقال عز وجل عن المجاهدين الذين انقطعت رغبتهم في الدنيا، وأصبح كل همهم الآخرة: "فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. والله يحب المحسنين". وقال عز وجل ردا على الذين يظنون أن السعادة الدنيوية والأخروية هي لغير المؤمنين: "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم. ساء مايحكمون" وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن الكافر إذا عمل حسنة أخذ بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإذا عمل حسنة فإن الله يدخر له من حسناته في الآخرة، ويعقبه بها رزقا في الدنيا".

وإن هناك أناسا ممن أنعم الله عليهم بالهداية والصلاح لاترى وجوههم إلا عبوسة قمطريرة، لا تخالطهم البشاشة، ولا يعرفون الابتسامة. وهؤلاء في إيمانهم دخن، وهم يسيئون إلى الإيمان وأهله، وينفرون الناس من الهدى وطريقه. وهم بذلك أبعد ما يكونون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الفعلية والقولية.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الابتسامة، لايغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله عزوجل.

ولذلك عنون الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابا : باب التبسم والضحك، وأورد فيه أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين ألا تعارض بين الإيمان والتبسم أو الضحك في حدود المعقول.

ومن هذه الأحاديث ماورد عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك".

وعن عبد الله بن عمر قال: "لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فلم ينل منهم شيئا قال: إنا قافلون إن شاء الله. فثقل عليهم، وقالوا: نذهب ولانفتحه. وقال مرة: نقفل، فقال: اغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح. فقال إنا قافلون غدا إن شاء الله فأعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: "ألست فيما شئت؟قال: بلى. ولكني أحب أن أزرع. قال فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال. فيقول الله: دونك يابن آدم، فإنه لايشبعك شيء. فقال الأعرابي: والله لاتجده إلا قريشا أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم".

وقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم في وجه أصحابه ويضحك لهم حتى توفي صلى الله عليه وسلم. فعن أنس بن مالك الأنصاري أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه".

قد يقول قائل إن حال الأمة الإسلامية ليس فيه إلا ماينغص العيش ويكدر الحياة. فكيف لنا أن نبتسم... ومن أين لنا أن نضحك؟

وللسائل أقول: إن تغيير حال أمتنا لايكون بالحزن والبكاء عليها، بل يكون بمعرفة أمراضها والسعي لعلاجها. بالدعوة إلى الخير والفضيلة ومحاربة الفساد والرذيلة...

وفي الختام، لاينبغي أن يفهم مما قلناه أننا ندعو الناس ليكون شغلهم الشاغل هو الضحك بسبب وبدون سبب، فإن هذا مخالف للسنة أيضا، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب". وقال صلى الله عليه وسلم: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا".

فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، دائما، هي التوسط والاعتدال، حتى في التبسم والضحك الذي يصبح أحيانا صدقة يتصدق بها المؤمن على نفسه، عندما يكون التبسم وسيلة لتقوية العلاقات بين المسلمين، وإشاعة المحبة والود فيما بينهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لايحقرن أحدكم شيئا من المعروف وإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طليق".

(تتمة ص2)

سلامة جارية مغنية، شاعرة توفيت حوالي 130هـ، كانت لسهل بن عبد الرحمان ابن عوف الزهري، فاشتراها يزيد بن عبد الملك بثلاثة آلاف دينار، فأعجب بها وغلبت على أمره، تراجمتها في الأعلام للزركلي ج:3ص:163.

وفي الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب فواز ص:351،350.

وما في النهاية لابن الأثير من حديث عائشة، هو نفسه في: الفائق في غريب الحديث للإمام الزمخشري، قال: وأرادت التسري، وهو استفعال من السرية على من جعلها من السر وهو النكاح، أو من السرور.

وفي سنن ابن ماجه ج:2ص:841رقم:2517.

حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا نبيع سرارينا، وأمهات أولادنا، والنبي صلى الله عليه وسلم فينا حي، لانرى بذلك بأسا، في الزوائد إسناده صحيح، رجاله ثقات.

أما فقهيا:

ففي جواهر الإكليل، شرح مختصر الشيخ خليل ج1ص:286.

أولا كلام المتن:(ولمكاتب ومأذون تسر، وإن بلا إذن، ونفقة العبد في غير خراج وكسب، إلا لعرف كالمهر، ولايضمنه سيد بإذن التزويج) قال الشيخ إسماعيل الأبي (ولمكاتب)أي معتق على مال مؤجل، ولقن (مأذون) له في التجارة بمال نفسه، (تسر) من مالهما إن كان بإذن سيدهما، بأن منعهما أو سكت، (ونفقة) زوجة(العبد) القن أو من فيه شائبة حرية كمدبر ومعتق لأجل لا مكاتب ومأذون، أ ي إنفاق العبد على زوجته (في غير خراج) أي ملكه العبد في نظير عمله بنفسه، كأجرة خياطة وحياكة وبنائه وتجارته، ونحوها . (و)غير (كسب) أي ربح تجارة العبد في المال الذي بيده ، لأنهما لسيده، وإنما يكون إنفاقه على زوجته في هبة أو صدقة أو نحو كذلك، (إلا لعرف) بأن نفقة زوجة العبد على سيده، أو في خراجه أو كسبه، فيعمل به، فإن لم يجر العرف بذلك، ولم يجد ماينفقه على زوجته، طلقت عليه.(كالمهر) لزوجة العبد في عونه من غير خراج العبد وكسبه، ولا يضمنه أي المذكور من نفقة ومهر (سيد بإذن التزويج) وفي حاشية الإمام الرهوني على الزرقاني على خليل ج:3ص:243، (ولمكاتب ومأذون تسر) قول الزرقاني إلا أن يأذن لهما في شرائها من ماله الخ، فرق بين المأذون له والمكاتب، وبين غيره، فجعل الإذن لهما في الشراء من ماله كافيا، ولغيرهما غيركاف وسلمه (تو) و(مب) بسكوتهما عنه، وقال شيخنا (ج) الجنوي فيه نظر، بل لابد من شرط تمليك الثمن أيضا فيهما، قال: ويدل على ذلك أن ابن عرفة ذكر ذلك بعد المكاتب والمأذون له، وقد علل ابن رشد منع ذلك بقوله: لأنه إذا قال له اشترها من مالي لنفسك، فلم يملكها رقبتها، وإنما أذن له في شرائها لنفسه تيطأها، وذلك تحليل منه له فرجها اهـ. فدل تعليله على المنع مطلقا اهـ. من خطه رضي الله عنه.

قلت: وماقاله ظاهر، وكلام ابن رشد الذي ذكر هو في أول اسم من سماع ابن القاسم من كتاب العتق، وسياقه أيضا يدل على أن المأذون وغيره سواء، وكلام ابن يونس صريح في ذلك، ونصه:(وللمكاتب والعبد التسري في ماله بغير إذن سيده، ابن وهب، وقاله غير واحد من العلماء والتابعين.

وفي بداية المجتهد ج:2ص:3993.

روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في مارية سريته لما ولدت إبراهيم (أعتقها ولدها)، ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(أيهما امرأة ولدت من سيدها فإنها حرة إذا مات).

ورد في المعيار المعرب، والجامع المغرب ج:9 صفحة:49،48 أربعة عشر مسألة، كلها عبارة عن أسئلة وأجوبتها، تراجع للمزيد من الاطلاع.

موضوع التسري، واتخاذ الإماء، موضوع جد معقد، يحتاج إلى الغوص في أمهات الكتب، ولعل لم يبق به العمل في وقتنا الحاضر إلا في حالات خاصة، والعلم عند الله تعالى، وهو سبحانه العليم الخبير، الولي الحميد.

كتاب الصيام (7/8)

■ الفقيه الأستاذ محمد بن لحسن الحسني

مكروهات الصوم:

■ ذوق الصائم لشيء له طعم كالملح والخل والعسل.. ليتعرف على حقيقته ولو لصانع أو بائع أو مشتر، مخافة أو يسبق لحلقه شيء منه فإن سبقه فعليه القضاء.

مضغ علك أو لبان، أو تمرة لطفل أو ما أشبه ذلك فإن سبقه شيء منه لحلقه فالقضاء.

❖ نذر معين من يوم مكرر كالخميس.. وأولى صوم الدهر.

❖كما كرهوا تعيين الأيام البيض وتحديدها للصيام دائما ، ويجوز صومها بدون تحديد.

❖ وكرهوا إظهار ستة من شوال ووصلها بالعيد ، ولا كراهة إن فرقها وأخرها وأخفاها.

❖ ومن أشد المكروهات مقدمات الجماع، ولو فكرا أو نظرا .. لأنه ربما يؤدي إلى الفطر بالمذي هذا اذا علم من نفسه السلامة من ذلك ، بحيث لا يمذي ولو استعمل المقدمات فتكون مكروهة . وأما من دأبه أن يمذي بالمقدمات فاستعملها فقد فعل حراما وأفطر إن خرج منه مذي على الراجح المشهور ، إلا إذا لم يستدم في الفكر والنظر. وقد جمع الشيخ المبارك أبو العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز العلالي صور المقدمات في نظم قال فيه:

فكر أو قبل أو نظر أو
باشر أو لاعب خمسة رووا
أدام أولا فنشا إنعاظ أو
مذي مني ذي ثلاثون حكوا
لاشيء في عشر لإنعاظ وفي
ذات المني قضا وتفكير يفي
إلا بفكرلم يدم قضا فقط
وذات مذي حكم تكفير سقط
وليقض فيها غير فكر ونظر
لم يستد مهما فلا فيما اشتهر

فصور المقدمات ثلاثون من ضرب خمسة: وهي المقدمات، في ثلاثة وهي ما ينشأ عنها، فيتحصل خمسة عشر تضرب في اثنين وهما الاستدامة وعدمها، فيتحصل ثلاثون . أو نضرب المقدمات الخمس في صورتي الاستدامة والابتلاء بعشرة في كل من الانعاظ والمذي والمني فعشرة الإنعاظ لاشيء فيها على الراجح، وعشرة المني فيها القضاء والكفارة إلا إذا فكر ولم يستدم فعليه القضاء فقط.

أما عشرة المذي فلا كفارة فيها، وإنما عليه فيها القضاء فقط، إلا في الفكر والنظر الذين لم يستمدمها فلا قضاء فيهما أيضا.

وللفقيه الطاهري أيضا رحمه الله في ما جاء في قبلة الصائم.

قبلة صائم أجز بالإجماع
واكره بخوف مذي ذابلا نزاع
وأجمعوا أن الذي يسلم لا
يلزمه شيء على ذاعمولا
وعند مذي مالك يقضيه لا
الشافعي النعمان فلتحصلا
وباتفاق يفسد الصوم إذا
أمنى ، فلا تقبلن وانبذا

❖كما يكره التطوع بالصوم قبل صيام واجب عليه غير معين كمن عليه قضاء رمضان أو كفارة فتطوع بالصوم قبل صومهما. فإن كان الصوم الواجب عليه معينا بيوم كالنذر المعين حرم أن ينوي التطوع فيه ويترك النذر.

❖ ويكره التطيب نهارا ، كما يكره شم الطيب ولو مذكرا، وطيب الإناث ما ظهر لونه وخفيت رائحته ، وطيب الذكور ماظهرت رائحته وخفي لونه.

وقال ابن عاشر رحمه الله:

ندب تعجيل لفطر رفعه كذك تأخير سحور تبعه.

فاستبقوا الخيرات ...الآية

■ الأستاذ: مصطفى أصبان الحسيني

■ ومعناها اللغوي : افعلوا الخيرات ، وهو من السبق ، أي المبادرة إلى الأولية ، وفي هذا حض على المبادرة والاستعجال إلى فعل الطاعات ، وجاء في أحكام القرآن أن في التفضيل اختلاف قال الامام الشافعي: أول الوقت فيها أفضل من غير تفصيل لظاهر هذه وغيرها مثل قوله تعالى " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم" وقال أبو حنيفة آخر الوقت أفضل باعتباره وقت وجوب وأما إمامنا مالك ففضل القول ، فأما الصبح والمغرب ، فأول الوقت فيهما أفضل عنده من غير خلاف ، وأما الظهر والعصر فلم يختلف قوله: إن أول الوقت أفضل للفذ ، وإن الجماعة تؤخر على ما جاء في حديث عمر ، إلا أن المشهور في العشاء تأخيرها وهو أفضل لمن قدر عليه وفي صحيح الحديث أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها ليلة حتى رقد الناس واستيقظوا ثم قال : لولا أن أشق على أمتي لأخرتها هكذا" أما بالنسبة للظهر فإنها تأتي الناس على غفلة فيستحب تأخيرها قليلا وذلك حتى يتأهبوا ويجتمعوا، بخلاف العصر فتقديمها أفضل، تقول عائشة (ض) في الصبح: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح فينصرف النساء ملتفات بمروطهن ما يعرفن من الغلس، والغلس هو ظلمة آخر الليل.

وبالجملة فلا يعادل المبادرة إلى أول الوقت شيء لقوله تعالى مخبرا عن موسى" وعجلت إليك رب لترضى" وزيادة في البيان روى الدارقطني عن أبي بكر الصديق (ض) أنه لما سمع قول النبي (ص) : أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله قال : رضوان الله أحب إلينا من عفوه ، فإن رضوانه للمحسنين وعفوه للمقصرين، وفي الصحيح عن أنس بن مالك (ض) أن النبي كان يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ولعله في السفر إذا اجتمع أصحابه وصح عنه قوله صلى الله عليه وسلم :" أبردوا حتى رأينا فيءَ التلول والمعنى يذهب الوهج والحر . وفي هذا تيسير للمؤمنين ورحمة ، وعليه فلا ننسى فضل الجماعة في الصلاة.

خواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

فرحة الصائم بعيد الفطر

■ يفرح الصائم بفطره وهو على مائدة الفطور بعد حرمان مشروع وتأديب بالجوع ، ولأن النفس من طبيعتها لا تعرف قيمة النعمة إلا إذا حرمت منها، وإن إلى حين ، كما أنها لاتعرف ميزة العافية إلا إذا عانت من المرض لفترة وان قصرت، والصحة تاج على رؤوس الأصحاء لايراه إلا المرضى.

وتغمر الفرحة هذا الصائم الذي قضى شهر الصيام زاهدا جائعا عابدا وهو يستقبل صباح العيد وفوزه بجائزة رب الأرباب فما أسعده بفرحته العظمى، وهو يتبادل تحية العيد مع أهله وجيرانه وأحبابه ويبادلهم فرحتهم ، ويهنئهم بالكلمة الصادرة من خلجات نفوس الصائمين : عيدكم مبارك سعيد..

ياترى هل يحس غير الصائمين بفرحة الفطر وفرحة العيد ؟ كيف يفرحون وقد تعمدوا قضاء شهر رمضان متحلقين حول الموائد يأكلون ويشربون جهارا وكأن الشهر الكريم لا يهمهم في شيء، فهم عن صيامه معرضون.

فالصائم يلقى ربه وهو فرحان بصومه ، فرحا لا حزن بعده ، وسعادة لاكرب معها، وسرورا لا سوء بعده ، ظافرا بثواب الله العظيم ، حاصلا على الأجر الجزيل من ربه الذي تكفل له بالجـــزاء والثواب، وفي الحديث القدسي : الصوم لي وأنا أجزي به.

فهو عطاء أكرم الأكرمين وفضل أرحم الراحمين.

أذكر مرة دعوتي لجار قريب توسمت فيه لأول وهلة انه يقضي نهاره صائما، وقبل أذان المغرب ذهبت إلى محل سكناه لأوكد له ضرورة تناول الفطور على مائدتي، وفيما كنت اقترب من الباب سمعت جلبة وضحكا عاصفا وصخبا يأتي من نافذة مشرعة ، وفوجئت بصاحبي وهو يتحلق حول مائدة انتثرت فوقها الكؤوس تتوسطها آنية تشتمل على لذيذ الطعام ، وهكذا عدت إلى البيت حزينا يعصرني الألم متأثرا بما شاهدته ، وفي العيد كان منظره بائسا وفتح بيت سكناه وهو يرتجف، بعد أن أطاحت الخمرة بعقله، وقال لي: اعتذر ياأخي على ما حصل مني ، قلت له منتقدا سلوكه:

. لقد دعوتك لتناول الفطور معي وماكنت أدري شيئا عن استهتارك بعقيدتك إلى هذا الحد.

ونظر إلي وعيناه حمراوتان تشرقان ببريق غريب، وأجابني متضايقا من كلامي.

. دعني وشأني، واحتفظ أنت بنصائح الإخوان المسلمين.

هذا هو حال زمرة كبيرة من شبابنا المنحرف الذي لم يتلق درسا واحدا في التربية الإسلامية ، التي تعتبرالنسبة إليه درسا ثقيلا عليه، ولكون معامله قليل في الامتحان.

فما هو الصوم وماهي الصلاة وماهو الحج ؟ وماهو السلوك المثالي للمسلم وماهي القيم والأخلاق هذه أشياء لايستسيغها المنحرفون ولايؤمنون بجدواها.

كنت أود أن يكون جاري مغمورا بالسعادة التي ينشدها عند فرحته أثناء مدفع الأفطار، وفرحته الكبرى بعيد الفطر.. وللصائم فرحتان كما قال رسول الله .

كم يسعدني صباح العيد ، وأنا أشاهد الفرحة ترتسم على وجوه الفقراء والمساكين وهم يجوبون الشوارع والأزقة ، بحثا عن نصيبهم من زكاة الفطر ، وعطاءات المحسنين.

إن عملية التضامن التي يسهر عليها ويشرف عليها جلالة الملك محمد السادس جاءت متوافقة مع فرحتنا باستقبال عيد الفطر السعيد. والتضامن بالنسبة للمؤمنين المحسنين ماهو إلا واجب أكيد للنهوض، بتنمية بلادنا وانقاذها من براثن الفقر وإحلالها المكان اللائق بين الأمم والشعوب...

فهنيئا لمن صام رمضان إيمانا واحتسابا، وهنيئا للصائمين بفرحة العيد.

تعليم الفقه الإسلامي أهدافا ، ومبادئ وإجراء

■ إعداد الأستاذ : العربي المودن

- الحلقة الأخيرة-

علاقة الفقه بالشريعة:

■ بعد أن عرفنا حقيقة كل من الشريعة والفقه ، نتبين العلاقة الوثيقة بينهما، وهي كما يلي:

1 الشريعة الاسلامية أكثر شمولا وعموما من الفقه من حيث الأحكام الشرعية ، فالشريعة الإسلامية تشمل الأحكام المتعلقة بالعقائد والأخلاق ، والأحكام المتعلقة بأفعال وأقوال المكلفين.

فهي بهذا أعم من الفقه، أما الفقه فيقتصر على بيان الأحكام العملية.

وهي على وجه الخصوص العبادات والمعاملات، فهو بهذه أخص من الشريعة.

2 . يعتمد الفقه في تقرير أحكامه العملية على مصادر الشريعة الاسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والإجماع والقياس، ولولا أن الشريعة الإسلامية قد شهدت لهذه المصادر بالحجية والاعتبار لما استطاع الفقيه أن يستنبط منها الأحكام الشرعية المعروفة.

3 . أساس الشريعة الإسلامية الوحي الإلهي المتلو وهو القرآن الكريم والوحي الإلهي غير المتلو وهو السنة الشريفة، فهو تشريع إلهي لا مجال فيه لرأي الانسان ، وتحرم مخالفته.

أما الفقه الإسلامي فقائم على الشريعة ومبادئها ، لأن قسما من الأحكام الفقهية يضعف فيه جانب الاجتهاد فتعد تشريعا إلهيا وجزءا من الشريعةفلا تجوز مخالفته . وقسما آخر يغلب عليه جانب الرأي والاجتهاد . وهذا النوع من الأحكام ، لايعد تشريعا إلهيا ، فلا تحرم مخالفته ، بل يجوز ذلك مادامت المخالفة مستندة إلى دليل فقهي أقوى . أو معتمد على اجتهاد أقرب إلى روح النصوص ، وهذا القسم من الأحكام . أكثر من القسم لأول لكثرة الحوادث وتجددها.

❖ الأهداف العامة لتدريس الفقه

المهم في عملية التعليم أن تكون الأهداف العامة للمادة المدرسة واضحة أمام المدرس ، ولابد من وضوح الأهداف الخاصة بكل درس كذلك ، ولاشك أن تحديد الأهداف في مادة العلوم الشرعية أكثر أهمية من تحديدها في غيرها ، لأن أهدافها تتصل بتكوين الانسان عقديا وسلوكيا وخلقيا، وإذا كانت الأهداف واضحة ومحددة فإن للمعلم الداعية أن يختار من الأساليب والطرق التدريسية ما يساعد على تحقيق هذه الأهداف. ومن المعلوم أن العقيدة لا تتضح معاملها دون عبادة ، لأن الله شرع لنا العبادة ، ووضح لنا منهاجها، وقد تكفل الفقه ببيان الأحكام الشرعية وما يتصل بها من حلال وحرام، ويمكننا أن نوجز الأهداف العامة بما يلي:

1 . تزويد الجمهور المستهدف بالمعلومات الدقيقة الصحيحة عن " العبادات والمعاملات ، وباقي موضوعات الفقه ، واكتسابه المعرفة الصحيحة.

فالجمهور المستهدف حين يلتحق بمكان التعليم ، قد تكون لديه معلومات قبلية عن العبادات مثلا، ولكنها ليست تامة ، فهم على سبيل المثال، يعرفون كيفية الصلاة ، ولكنهم قد لا يميزون بين ما يبطلها ومالايبطلها ، أو بين أركانها وسننها، ولذلك فإن المتعلمين يلمون في أماكين تعليمهم بكل هذه المعارف الصحيحة حتى تسلم لهم العبادة ، وتصح منهم المعاملة ، من الناحية الدينية . وبذلك تتعمق معرفة المتعلمين بأركان دينهم . والقواعد الأساسية التي بني عليها : قال عليه الصلاة والسلام: « بني الإسلام على خمس .. الحديث » أخرجه البخاري .

2 تدريب المتعلمين على الأداء الصحيح للعبادات ، والتأكيد على ممارستها حتى تصبح عادات لهم.

3 . ربط العبادة بالعقيدة والأخلاق والسلوك وبيان الأثر الإيجابي بينها ، والثمار الناتجة عنها.

4 . رد الشبهات التي تثار حول العبادة بمفهومها العام والخاص، وتصحيح أفكار ومعارف الجمهور المستهدف الخاطئة عن بعض العبادات والمعاملات . ودروس الفقه هي المعنية بالتصحيح. والمعلم الداعية الناجح ، هو الذي يعرف ويستطيع معرفة وجود هذه الأفكار المنحرفة لدى من يعلمهم ، عن طريق تعويدهم الصراحة والشجاعة ، وإبعاد شبح التعنيف أو التوبيخ عن أنفسهم وأن يكون صريحا معهم ، يعرض عليهم المشكلات الواقعية ، ولايحاول تجاهلها أو التغاضي عنها، وإذا ما أصبحت الصراحة خلقا متبادلا بين المعلم والمتعلم يستطيع بسهولة أن يعرف ما يحول في أذهانهم من معلومات خاطئة ، وحينئذ يقوم بالتصحيح والتقويم وهذا يتطلب من الواعظ والداعية الإحاطة بالظروف البيئية التي يعمل فيها، وماينتشر فيها من أفكار.

5 . تحويل المعارف والمعلومات الفقهية النظرية إلى عمل وسلوك وأخلاق عملية ، فالفقه عمل واداء وتطبيق، وليس مجرد قضايا نظرية أو فكرية أو فلسفية، فالمعرفة إذن ليست هدفا في حد ذاتها . وانما هي وسيلة لهدف أهم منها وهو العمل ، وهذه مهمة صعبة ، لأن العمل بمقتضى المعرفة الفقهية لا يتم في حدود المسجد فقط ولأن العادة لم تجر في بيت من بيوت الله بأن تكون مجال عمل وممارسة في سائر المجالات ، وهي مع ذلك ممكنة ، وخاصة في مجال الفقه، والداعية هو مركز الثقل في العملية التعليمية التعلمية، فمن الممكن ان يوطن نفوس طلابه على العمل بمقتضى ما يدرسون، ومن ثم يلاحظهم ليعرف مدى التزامهم في التنفيذ.

6 . ربط الموعوظين بقيم انسانية نبيلة ، مثل تنمية روح الوحدة. وحب الجماعة ، مع تآلف القلوب وتقارب النفوس ، بحيث يصبح المجتمع بأفراده مجتمعا تحكمه الفضيلة ، وهذه تستفاد من خلال الممارسة العملية.

7 . تثقيف الموعوظين بميزات العبادة الإسلامية، فهي تمتاز بالبساطة والاعتدال وكما لها في الأداء، وأنها تعد المسلم للحياة المستقيمة ولا تقطعه عنها، كما أنها تؤكد ارتباط المسلم بربه ارتباطا يشعره بأن العبودية لا تكون إلا لله وحده.

8 . أن تنمو لدى الموعوظين القدرة على استنتاج الأحكام الشرعية من آيات القرآن الكريم ، ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وتحقيق هذا الهدف يتم إذا ماحرص الداعية على ذكر المصادر الأساسية للأحكام الشرعية ، التي تتعلق بالعبادات والمعاملات ، فإذا رأى الموعظ دقة التوجيه من واعظه . فإنه تنمو لديه القدرة على الاستنتاج ، بعد أن عرف أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصادران الأساسيان للتشريع.

9 . أن يدرك الموعوظ الترابط الوثيق العملي الوظيفي بين فروع علوم الشريعة : بين الفقه وكل من القرآن الكريم ، والتفسير والحديث الشريف والعقيدة، ولا يستطيع المتعلم بأي حال دراسة النواحي الفقهية بمعزل عن العلوم المشار إليها.

10. أن يدرك الموعوظ أهداف التشريع الكبرى في النواحي الدنيوية والدينية الفردية والجماعية، وكيف يسعى لتحقيقها.

مبادئ يسترشد بها في تدريس الفقه:

يتناول الفقه الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات وقد اجتهد العلماء في استنباطها من المصادر الأساسية للفقه الإسلامي وتجمع لدى المسلمين رصيد كبير من تلك الأحكام الفقهية التي امتازت بدقتها وشمولها ، وهذا يدل على الحركية الفكرية التي هيأها الإسلام للمفكرين العلماء وتشجيعه على الاستنتاج والنظر العميق في آيات الكتاب العزيز، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، مادامت الحركية الفكرية والاستنتاج ضمن الأطر المشروعة ، ولا تتعارض مع مبادئ العقيدة والقواعد الكلية للشريعة الغراء.

ودرس الفقه يتطلب من معلم علوم الشريعة سعة الثقافة إلى جانب المعرفة الشاملة لعلوم الشريعة ومصادرها. ولابد للمعلم أن يلم بجملة من المبادئ المهمة حتى يضفي على دروسه روحا من الحيوية، والنشاط والجدة ، وتتخلص هذه المبادئ بما يلي:

1 . سعة مفهوم العبادة في الإسلام ، فهي لا تقتصر على العبادات الخاصة المعروفة في الإسلام ،، وإنما تشمل كل عمل من أعمال الحياة العملية وأنشطتها ، بحيث يصبح كل عمل عبادة ، إذا أراد المسلم به امتثال أوامر الله، وهذا ما يسبغ على درس الفقه روحا من الحياة ، تشمل نشاط الانسان كله.

2 مراعاة الجانب الروحي في تدريس موضوعات الفقه الإسلامي حتى يشعر المتعلمون بهذا الجو الروحاني فتمتلئ قلوبهم تعلقا بالله أن الموعوظ بحاجة إلى شفافية في النفس، ورقة في الوجدان ، ومادام يشعر في كل درس من دروس علوم الشريعة أنه قريب من الله تعالى، فإن هذا يترك تأثيرا إيجابيا مباشرا على أخلاقه وسلوكه، وهي مع المداومة تفضي إلى طهارة الروح ، وصفاء القلب ، قال تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »

3 . تحتاج العبادات في تدريسها أن يكون الداعية قدرة خير لموعوظيه من حيث الفهم والإدراك والاداء السليم للعبادات ، والممارسة السلوكية الصحيحة ، والوعي النابع من الشخصية المتميزة التي لا تعبد الله على جهل.

4 . دراسة بعض العبادات في الأيام ، والشهور التي تناسبها ، فموضوع الصيام يدرس في شهر رمضان ، وموضوع الحج يدرس في أشهر الحج، وهكذا . وهذا أدعى لتثبيت المعلومات في نفوس السامعين.

5 . المهم في العبادات هو ممتارستها، وهذا يعني أن التركيز فيها على تكوين الدافع الديني نحو أدائها وعدم التهاون أو التقصير فيها وأداؤها عمليا يساعد على يقظة الضمير وقوة الوازع الديني، فيكون العابد من داخل نفسه رقيبا يحاسبه في جميع الأوقات ، ويظهر ذلك في أعمال، وفي حياته الخاصة والعامة ، وعلاقته بغيره.

إجراءات تدريس الفقه:

إن أفضل طريقة في تدريس الفقه هي الطريقة العملية ، لأنها أحسن طريقة لإكساب المتعلمين المهارة عن طريق التدريب العملي ولأنها تلبي فيهم الرغبة والميل إلى التقليد والمحاكاة والحركة.

وينبغي التأكيد على خطوة أساسية وهي تحضير الدرس، ولايكتفي الواعظ بما لديه من معلومات حول الموضوع، لأن التحضير يعطيه الفرصة للمراجعة والتفكير. ويثير في ذهنه مجموعة من الأسئلة التي يتوقع أن يسألها المستمعون، ولا بد أن يجد الإجابة عنها. ولأن التحضير كذلك يعطي الواعظ الفرصة للتفكير في الوسائل المقنعة لتسهيل مهمة المتعلمين للموضوع.

أملي أن أكون قد وفقت في هذا الموضوع، والله الهادي إلى سواء السبيل.

حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية 2/1

شكلت قضية حقوق الإنسان منذ القديم محط اهتمام كل الأديان السماوية ورجال الفلسفة والسياسة وعلماء الاجتماع والقانون والاقتصاد ورجال الفكر والأدب.
كما شهد تاريخ البشرية عدة ثورات سياسية واجتماعية كان هدفها النبيل هو خدمة الإنسان، هذا الإنسان الذي شكل بدوره المحور الأساسي لمختلف الشرائع السماوية والقوانين الوضعية رغم اختلافها زمانا ومكانا.
كما تجدر الإشارة إلى أن مسالة حقوق الإنسان تطرح نفسها بإلحاح في الوقت الراهن، لكون الموضوع يرتبط بالإنسان وكرامته وسمعته من جهة وبالدفع بتنميته ورقية الاجتماع والسياسي من جهة أخرى. لأن الحرية والكرامة كانتا ولاتزالا اعز مقومات الإنسان. ومردودية الإنسان وفعاليته في وسطه الاجتماعي يكون ثمرة مدى تمتعه بحقوقه وحرياته. فإذا أقبرت حقوقه وانتهكت أقبرت منابع الخير فيه نتيجة الظلم والاستبداد والقهر الذي يقع عليه.
كما يمكن الملاحظة في بداية هذا العرض أن كل بحث في حقوق الإنسان في الإسلام يحيل لا محالة إلى حقيقة ثابتة وأصيلة هي أن الحركات التحررية في الغرب تاثرت باضواء وانوار الثقافة الإسلامية في العصور الوسطى وتنسمت عبير الحرية عبرها.
غير أن الملاحظ أن كلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا تدرس مادة حقوق الإنسان بمفهومها ومضمونها الغربي، مع بعض الإشارات الخاطفة والباهتة لحقوق الإنسان في الإسلام.
وقبل التطرق إلى الإجابة عن الإشكاليات التي تطرحها المحاور المذكورة سابقا فإنه يجدر بنا من خلال هذه المقدمة الإشارة إلى أن مفهوم حقوق الإنسان مفهوم كبير وواسع ولا يستطيع أن يشمله أي تعريف ولكن يمكن القول أن حقوق الإنسان هي الحقوق المتاصلة في طبيعتنا والتي لايتسنى لنا بغيرها أن نعيش عيشة البشر، إنها حقوق تسعى إلى تحقيق الحرية والعدالة والسلام في العالم بما يحفظ الكرامة المتاصلة في الإنسان.
غير أنه من بين الإشكالات المطروحة اليوم في صفوف مثقفي ومناضلي حركة حقوق الإنسان هي مسالة المرجعية وبذلك نطرح السؤال التالي : هل لحقوق الإنسان مرجعية عالمية في ظل المعاصرة؟أم أن لكل شعب أو أمة من الأمم مرجعيته ومرجعيتها الخاصة بها؟ هذا ماسنجيب عنه من خلال المحاور التالية:

■ إعداد الأستاذ: عبد المالك زعزاع

المحور الأول: المصدر والمرجعية لحقوق الإنسان في الإسلام

المحور الأول: المصدر والمرجعية لحقوق الإنسان في الإسلام

لاشك أن مرجعية حقوق الإنسان في الإسلام هي التشريع الرباني الإسلامي، حيث تعتبر حقوق الإنسان من أساسيات الدين وأصوله ومبادئه باعتبارها أوامر الاهية أحق للإنسان نفسه لتعديلها أو إلغائها لأنها تمثل حق مقدس وتحقق المصلحة العامة في الدين الإسلامي التي هي رعاية مصالح البلاد والعباد، فمصدرها هو الله الذي خلق الإنسان فهو سبحانه وتعالى أعلى مصدر للسلطة في التشريع وهو الذي كرمه ومتعه بتلك الحقوق وكل تعد على هذه الحقوق يعد محاربة لله ورسوله وللمسلمين، لذلك فإن المرجعية ثابتة وعليا ومقدسة ليست من صنع البشر ولايمكن التراجع عنها ولايتلاعب بها لأنها أوامر إلاهية.

ومصدر الحقوق من الحق والحق في الشريعة الإسلامية مرتبط بعقيدة التوحيد لكون الحق من أسماء الله تعالى قال تعالى: "ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق". فتعالى الله الملك الحق"، "ذلك بأن الله هو الحق".

ونظرية الحقوق في الإسلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. حق الله: ويسمى بالحق العام ويشمل العبادات كلها.
2. حقوق الأفراد: وتسمى بالحق كحق الملكية والنفقة وحق القصاص.
3. الحقوق المشتركة: مثل الزكاة فهي حق لله تعالى وحق لعباده.

فالحق الخاص في الشريعة الإسلامية هو المصلحة الثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستئثار ويحظى بحماية أقوى من الحق العام، ذلك أنه يستنبط من أحاديث التوبة. وأن العدوان على حق خاص من حقوق العباد تقتضي مغفرته رد الحق المغصوب لصاحب المظلمة مع التغافر والتسامح، وكل حق في الإسلام يحميه واجب وأداء الواجب مقدم على المطالبة بالحق ورعاية لمقاصد الشريعة فإن الشارع الحكيم وضع آليات لحماية حقوق الإنسان وهي مجموعة حدود قال تعالى: "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب".

الحدود هي أعلى درجات العقوبة في الإسلام.

إن الحق لايحميه إلا الواجب وفي شريعة الإسلام ما من حق إلا ويقابله واجب.

حق الجار الجائع يحميه واجب الجار الغني، حق المظلوم يحميه واجب دفع الظلم.

هكذا يمكن أن نلاحظ أن الفرد في المجتمع الإسلامي يمكن أن يفقد بعض حقوقه مثل حق الحياة إذا ضر بالمجتمع، إذا قتل عمدا أو ارتكب جريمة الزنا وهو محصن أو مارس الحرابة.

ونظرا لأهمية حقوق الإنسان في الإسلام فإنها ترقى إلى درجة الضرورات والحرمات لا الحقوق فقط.

فالحرمة هي ما لا يحل لمسلم انتهاكه، والضرورات هي أعلى مراتب المصالح بذلك تبيح المحظورات، ولايجوز بأي حال من الأحوال انتهاك هذه الحقوق لكونها مقدمة على حرمة بيت الله الحرام استنادا إلى الحديث النبوي الشريف الذي رواه ابن ماجة "والله لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيت الله الحرام".

والحقوق والحرمات هي حمى الله عز وجل حيث قال صلى الله عليه وسلم "ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه".

ولذلك تقرر في أصول الفقه أن الامتناع عن الحرمات والحرام مقدم على فعل الواجب أو الفرض ودفع المفسدة مقدم على جلب المنفعة.

ورغم قداسة هذه الحقوق في الشريعة الإسلامية فهي مقيدة بحق الله تعالى وبعدم الإضرار بالغير ومصلحة الجماعة.

فالحق يستلزم واجبين:

- أولهما واجب على الناس أن يحترموا حق الشخص وألا يعتدوا عليه أثناء تمتعه به واستعماله.
- ثانيهما: واجب على صاحب الحق نفسه هو أن يستعمل حقه بدون الإضرار بحقوق الآخرين ويستوي في ذلك سائر الحقوق لافرق في ذلك بين الحق العام والحق الخاص.

خلاصة هذا المحور هي أن التصور الإسلامي يفرض علينا أن حقوق الإنسان في الإسلام لاتخضع لأمزجة البشر بل تستند إلى تشريع رباني يستند إلى الكتاب والسنة والإجماع وإلى مقاصد الشريعة، هذه المرجعية تؤصل بموجبها حقوق الإنسان وكرامته على أساس الإسلام، ولا أحد له الحق في انتهاكها لأنها ذات طبيعة إلهية.

المحور الثاني: حقوق الإنسان المفهوم والمضمون الشرعي

لحقوق الإنسان في الشريعة مفهوم أصيل له علاقة بكرامة الإنسان قال تعالى : "الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان" فإضافته سبحانه وتعالى في هذه الآية إنزال الحق لنفسه خير دليل على أن الإسلام جاء لتقرير حقوق الناس وحرياتهم والتي هي في نظر الإسلام ضرورات لاحقوق وتبنى على أساس عقائدي يضمن كرامة الإنسان.

والشريعة الإسلامية مقررة لنوعين من الحقوق حقوق فردية وحقوق جماعية:

- **أولا : الحقوق والحريات الفردية**

1. الحرية في الذات والبدن وحق الحياة "

لئن كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن هيئة الأمم المتحدة لم يضمن في مادته الثالثة الحق المشار إليه أعلاه إلا سنة 1948، فان الإسلام منذ عدة قرون قد أكد على هذا واعتبر حفظ النفس من المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية، فحرم القتل والاعتداء بغير وجه حق، وحد حدودا وأقر تعازير لتأمين حياة الناس وسلامة ذواتهم وأبدانهم، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد أن "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" ودفاع المسلم عن دمه حق شرعي إن قتل دونه اعتبر شهيدا.

وفي السياسة الشرعية لعبد الوهاب خلاف جاء مايلي:

"في النهي عن العدوان إلا على ظالم وفي الأمر إلا أن يكون الاعتداء على الظالم مماثلا لاعتدائه لايزيد، وفي قصر الجريمة على مخالفة حدود الله ومنع تشريع العقوبات بالرأي والقياس كفالة للحرية الفردية وتأمين من الاعتداء على الذات، وجميع ما في كتاب الله وسنة رسوله من النهي عن الظلم والإيذاء للمسلم والذمي يؤيد حرية الذات وأمان الإنسان من أذى غيره"

2. حرية التفكير والاعتقاد والرأي:

لقد جاء الإسلام لتحرير العقول من الخرافات والأوهام، وركز على وجوب التفكر في خلق السماوات والأرض لأن دعوته تقوم على أساس العقل، وتأتي آياته لتنعي وتعيب تعطيل العقل يقول تعالى : "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".

أما حرية الاعتقاد فمناطها أن أساس الالتزام بالإسلام ينبني على الإيمان والاقتناع إذ أن الله تعالى يقول: "لاإكراه في الدين"

وقد سجل التاريخ الإسلامي حماية المسلمين لأهل الذمة وإعطائهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، بل يذهب الإسلام لأكثر من ذلك حينما يقرر لهم نفس الحقوق التي للمسلمين فقد حدث حين أراد أحد السلاطين التتار أن يطلق سراح الأسرى المسلمين دون النصارى أن اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: "إن ذمة المسلمين يسري في حقهم مايسري في حق المسلمين في هذا الشأن، فان لم يطلق أسراهم جاهد المسلمون واستأنفوا القتال لافتكاكهم".

فهل شهد التاريخ على مر حقبه حرية اعتقاد وحماية للمخالفين في العقيدة كالتي يقررها الاسلام؟

هذا، ولقد ضمن الدين الإسلامي حرية الرأي والتعبير، واشترط لها شرطا واحدا لا ثاني بعده وهو عدم الخروج عن المبادئ الأساسية في الإسلام أما فيما سوى ذلك فإن المسلم مأموربالدفاع عما يراه حقا، بل لقد أرشد ديننا الحنيف لأداب في القول والتعبير أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة في نطاق من عدم الجهر بالسوء ليكون ذلك مشمولا بقوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

3. حرية المأوى والتنقل والإقامة:

من المعلوم بالضرورة أن الإسلام قد قرر حرمة المسكن في قوله تعالى : "يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها".

كما أن النفي والتغريب عقوبة لاتتقرر إلا بإذانة، وفي حق من يحاربون الله ورسوله، وفي هذا ضمان لحرية المأوى.

وقد تمتع المسلمون بحق التنقل داخل دار الإسلام دونما قيود تفرض على ذلك.

ولعل في اعطاء حق الجوار والأمان للاجيء والمستجيروان كان كافرا بل ومحاربا دليلا ساطع على كفالة الإسلام لحق الاقامة، ويشمل الأمان، للاجيء المستجير حتى بلوغ بلاده يقول تعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه".

4. حرية التعليم أو ضرورة العلم "لقد نص الإسلام على أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، ونفى أن يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون، ولم ينص على أنواع معينة من العلوم وحظر ماعداها، فكل علم يوصل إلى مصلحة دنيوية أو دينية فهو مطلوب وهو حق مشاع بين أفراد الناس ذكورهم وإناثهم".

ان أول مانزل من القرآن الكريم دعوة صريحة للعلم، وتضمن كتاب الله آيات ترفع مكانة العلم والعلماء "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون، انما يتذكر أولوا الألباب".

يقول ابن حزم في "الأحكام" ".... وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحكم وهم مسلمين أو حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم، ويجبر الامام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم ماذكرنا إما بأنفسهم وإما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال..."ومعنى ما ادرجناه أن التعليم في الإسلام إلزامي وأن دولة الإسلام تعتبر مسؤولة عن ذلك.

5. حق العمل:

يعتبر الإسلام العمل واجبا على الإنسان لاحقا له فحسب لأن العمل يهيء كسب العيش فلا يعيش المسلم عالة على الناس. لهذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذين يعولون شخصا انقطع للعبادة "كلكم أعبد منه"

وفي تحريم السرقة وتكريه السؤال تشجيع على العمل.

ودولة الإسلام واجبها الأول أن تهيىء العمل للقادرين عليه وأن تحمي حقوقهم وتراقب أداءهم لواجباتهم... ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى لرجل درهمين وقال له كل بأحدهما واشتر بالآخر فأسا واعمل به.

ومعلوم أن أجر العامل في الإسلام لايخضع لتسويف ولا مماطلة بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه".

6. حق التملك والكسب من الطيبات الحلالك:

لقد ضمن الإسلام هذا الحق ووضع إجراءات حمائية لاحترامه منها: . حق الدفاع الشرعي عن المال . حماية المعاملات من الإكراه . عقوبة السارق وتضمين الغاصب. يقول الله تعالى "يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض" فالتملك في الإسلام طيب أساسه الكسب الحلال ومصرفه الانتفاع به من غير إسراف ولاتقتير مع تأدية حقوقه لمستحقيها (زكاة).

7. المساواة:

يقول تعالى في محكم تنزيله: "يأيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

فالإسلام يسوي بين الناس مساواة مطلقة بين الأفراد والأجناس والألوان والحكام والمحكومين. وليس في الإسلام فرد فوق القانون بل هناك مساواة في الأحوال المدنية والجنائية بين كل المسلمين حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها" والاسلام يسوي بين المسلمين والذميين ولايستثني إلا ما يتصل بالعقيدة لأنهم في هذا المجال يحكمون دينهم وشريعتهم.

وأن الدين الاسلامي تنطق شعائره بالمساواة منها الحج و وقوف الناس على صعيد واحد في لباس واحد، والصلاة ووقوف الحاكم بجانب المحكوم في صف واحد كلها تجليات في أبهى صورها.

بعد الحديث عن الحقوق الفردية والتي لاندعي حصرها فيما قدمناه بل إنها أوسع وأرحب من أن تحصى ننتقل للحديث عن الحقوق الجماعية في العدد المقبل.

شكر على تعزية

على إثر الوفاة المفاجئة لفقيد الدين والعلم والدعوة إلى الله، فضيلة الاستاذ الحسن بن الشيخ مولاي إبراهيم الكتاني تتقدم الاسرة والطريقة الكتانية، ورابطة علماء المغرب، وجمعية الامام البخاري وجمعية الاخوة والصداقة المغربية المصرية بوافر شكرها وامتنانها، وصادق عرفانها لكل الذين شاركوها في مصابها، وواسوها في آلامها وأحزانها في هذا المصاب الكبير سائلين الباري تعالى أن يتغمد الفقيد العزيز بواسع رحمته ويتقبله قبولا حسنا عنده ويسكنه جنة الخلد ويرضى عنه ويكرم مثواه، ويجازي جميع المعزين والمواسين أحسن الجزاء مصداقا لقوله تعالى:

"وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون".

التعريف بالعلماء "المغمورين" واجب وطني وديني

- الحلقة الأخيرة-

■إعداد الأستاذ: محمد نور الدين بنعبد الوهاب

■ بطاقة شخصية للأستاذ " اليزيدي".

اسمه أحمد بن المفضل بن المختار، ينتسب إلى أعلا جد له هو الفقيه (اليزيد)، واشتهرت فروعه بأولاد " يزيد" وعدل هذا الاسم في كناش الحالة المدنية، وزيد فيه ياء النسبة فصار" اليزيدي" ولد (1361 هـ 1942م) من أب هو السيد المفضل بن محمد بن ا" اليزيد" ، وام هي السيدة فاطمة بنت محمد بن الشاهد الربون، بقرية تورت وليس تورارت" كما كتبت خطأ في بعض وثائقه الإدارية، وهي إحدى قرى بني اشكورة ، قبيلة بني زجل الغمارية التابعة لعمالة شفشاون والواقعة بشمال المغرب الأقصى.

نشأ في قريته " تورت بين أهله وعشيرته تظلله طبيعة الجبال الخلابة وتشبع منذ نعومة أظافره بعبق الأجواء الدينية والعلمية انطلاقا من عالمه الصغير داخل الأسرة ومن محيطه القريب والبعيدفي " محضر المسجد" وخارجه طلبا لحفظ القرآن ورسمه ورايته، مما جعله يشد الرحال إلى مجموعة من فقهاء المنطقة، أشير إلى بعضهم فيما يلي : . تعلم القراءة والكتابة على يد الفقيه المفضل بن الحاج من قرية (تيسوكة) بضواحي شفشاون. وحفظ القرآن والمتون على يد كل من الفقهاء السادة:

. عبد القادر الدرقاوي من(إزفارن)، والمفضل بن عرضون الديلالي ، وعبد السلام الديلالي، وعبد السلام بن اليازد الديلالي أيضا بنفس الجهة، ومحمد بن حمان من قرية (آزاغار)، ومحمد بن الأزعر من قرية (أكان) ، وعبد القادر الجندي من قرية (وسلاف) بقبيلة بني زجل الغمارية.

وفي قبيلة بني حسان ، في قرى مختلفة بها تلقى الأستاذ " اليزيدي" علوم الآلة والفنون الأخرى على يد نخبة من الفقهاء المشهورين كالحسن بن ثابت والمهدي شقور البوعاوني، لكن علوم القرآن سيطرت على عقله وصادف. حديث الناس عن شهرة فقيه مقرئ متفنن في هذا العلم. هوى في قلبه، فشد إليه الرحال حيث يقيم بقرية(تمطيلت الحسانية، واسم هذا الفقيه الجليل هو (الحسن المطيلي) فأخذ عنه ، وبقي ملازما له يمتح من بحره حتى شفى غليله.

وجاءته فرصة أخرى لم تكن في الحسبان، وهي عند مروره بشفشاون مواصلا رحلاته العلمية الجديدة ، فوجئ ببعض زملائه قد قبلوا في المعهد الأصيل بنفس المدينة ، وأراد أن يجرب حظه مع وهؤلاء القوم، فاختارته اللجنة العلمية على رأس الطلبة المتفوقين ، بعد امتحان عسير لمعلوماته، وصنفته ضمن تلامذة السنة الأولى من التعليم الثانوي الأصيل،.... ومن شفشاون انتقل إلى ثانوية القاضي ابن العربي بتطوان ليحصل على بكلوريا التعليم الأصيل، (اجتاز الكتابي في تطوان. وامتحن في المواد الشفوية في مدينة الرباط) يونيو سنة 1963م.

وسنكتفي. في هذه العجالة. بذكر أهم المعلومات المتعلقة بحياته الشخصية والمهنية تاركا التفاصيل عن شيوخه وأساتذته وتلاميذه إلى فرصة لاحقة.

ومن هذه المحطات الأساسية في حياة الفقيد العزيز:

1 . زواجه المبكر من بلده. تزوج الأستاذ " اليزيدي" . رحمه الله من أسرة فاضلة بمدينة شفشاون ، عاصمة " التنوير" التي فتح عيناه عليها أول مرة وكان قصده من هذه الخطوة هو الاستقرار النفسي والتطلع إلى الغد السعيد، وإبقاء هذا التواصل الروحي بين مسقط الرأس وبين عوالم جديدة ربما تأخذه. في غفلة الانشغالات . إلى اللاعودة، فتمحو ذاكره وتتركه بلا هوية كما تفعل المدن الكبيرة مثل الدار البيضاء .. ولحسن حظ المرحوم " اليزيدي أنه أخذ الحسنين معا: زواجه ببنت البلد ، وبالمرأة الصالحة، ... فكانت حرمه السيدة الفاضلة الحاجة (راضية اليزيد الربون) . بارك الله في عمرها وفي صحتها . نعم المرأة المغربية الحرة ، (الأم المربية) ، والزوجة المسئولة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الإخلاص والوفاء والكفاح، .. ولولا مساعدتها له والوقوف بجانبه ومواجهة كل المعوقات وإدارة شؤون البيت بحكمة ودراية قل نظيرها .. لما تفرغ المرحوم " اليزيدي " تفرغا كليا لتحصيل العلم ومواصلة دراسته العليا، علما بأنه خلف من زوجته الوحيدة هذه ذرية صالحة ، فيها البنات والبنون، وهم على التوالي: سمية وسناء، وابتسام ، وزكريا وعثمان وأسامة، كلهم أحياء ما يزالون يواصلون الدراسة تحت رعاية أمهم الفاضلة، وقد نشأوا وتربوا تربية إسلامية خالصة : أدبا واستقامة وطاعة لله ولرسوله...، وتوفي للزوجين الكريمين بنتان وولد واحد غير ما ذكر أعلاه.

2 الشواهد العلمية والتربوية المحصل عليها :

. دكتوراه الدولة في علوم القرآن/ 1996م.

. دبلوم الدراسات العليا في علوم الحديث /يونيو1988م

. شهادة استكمال الدروس (المتعلقة) من دار الحديث الحسنية/ الفوج 14 . سنة 1979م.

. الإجازة العليا من كلية الشريعة بفاس / يونيو 1966.

. الكفاءة التربوية للتعليم الثانوي / 1977.

3 . المهام التي أسندت إليه

. أستاذ اللغة العربية بثانوية عبد المالك السعدي بالقنيطرة / 1966م.

. أستاذ التربية الإسلامية بالمركز التربوي الجهوي بالقنيطرة 1980م.

. أستاذ التعليم العالي بدار الحديث الحسنية بالرباط سنة1993م.

. رئيس وحدة علوم القرآن والحديث بدار الحديث الحسنية الرباط.

. الإشراف على الأطروحات الجامعية ومناقشتها.

. الإشراف على بحوث التخرج لطلبة دار الحديث الحسنية الرباط.

4 . الأنشطة العلمية الموازية لمهنة التدريس:

. خطيب الجمعة بالمسجد الذي بناه المحسن (الشعبي) بالقنيطرة)

. أستاذ كرسي الحديث بمسجد السنة بالرباط.

. عضو المجلس العلمي لولاية الشراردة بني احسين / القنيطرة.

. عضو جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية / الرباط

. عضو رابطة علماء المغرب / فرع القنيطرة.

. التطوع بدروس في العلوم الإسلامية لفائدة الطلبة الأندنوسيين المتواجدين في القنيطرة.

. المشاركة الفعالة في الندوات العلمية ، خصوصا الندوات ذات الطابلع الإسلامي والدعوي.

5 وسام ملكي:

. حصل المرحوم الأستاذ " اليزيدي" على وسام العرش من درجة " فارس " بتاريخ 30 يوليوز سنة 2002م.

6 وفاة المرحوم الأستاذ " اليزيدي" صباح يوم السبت 19 جمادى الأولى 1424هـ موافق 19 يوليوز 2003م برفقة المرحوم الأستاذ " الهبطي" وهما في طريقهما إلى مدينة وزان للمشاركة في ندوة علمية أقيمت بالمدينة، وكانا يركبان سيارة الأجرة التي تنقل المسافرين من القنيطرة إلى وزان.

. وقد دفنا معا بالمقبرة العمومية في القنيطرة ظهر يوم الأحد 20 جمادى الأولى 1424هـ موافق 20 يوليوز 2003م ، وماتا شهيدين للعلم، مجاهدين في سبيل الله ، رحمهما الله وغفر لهما ولجميع المسلمين ، آمين.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1044
السنة 36
الجمعة 3 شوال 1424 هـ
الموافق 28 نونبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1044 الجمعة 3 شوال 1424 هـ .الموافق 28 نونبر 2003م

الأستاذة رجاء المكاوي تقول في الدرس الحسني «ما تسعى الحداثة المادية إلى إشاعته وكونيته ليس نظاما وإنما فوضى وعبثية

وأضافت أنه أضحى لزاما على الفاعلين في مجال الأسرة « إبداع نظام ذاتي نابع من ثقافتنا .. يؤلف بين أفراد الأسرة ويضمن تماسكها » في حرص على مقاصد الشرع وتدارس قضايا الأسرة بحكمة، وتصحيح الشكل الذي يطرح به الموضوع والحرص على حسن تطبيق النصوص ، ووضع مساطر خاصة بتطبيق نصوص الأسرة وإحداث مؤسسة التحكيم وإنشاء مؤسسات للأسرة تعوض أدوار الأسرة الممتدة

■ ترأس أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس مرفوقا بصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد الأربعاء عاشر رمضان الأبرك درسا جديدا من سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية.

وقد ألقته الأستاذة رجاء الناجي مكاوي أستاذة التعليم العالي بجامعة محمد الخامس أكدال في موضوع كونية نظام الأسرة في عالم متعدد الخصوصيات » انطلاقا من قول الله تعالى:« يا أيها الناس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » الآية 1 سورة النساء.

وقد عمدت الأستاذة الناجي إلى تحليل المنهاج المعتمد لمقاربة مشاكل الأسرة في العلوم الاجتماعية الحديثة ومقارنته بالمنهاج المعتمد في السياسة الإسلامية الأسرية ومقارنتهما وتحديد أيهما أقدر على تحديد كونية الأسرة والانسجام مع خصوصية المجتمع وضمان انسجام الأسرة.

وأكدت أن الأبحاث أبانت عن مجموعة من الاختلالات في تناول موضوع الأسرة أولها فلق مشاكل الأسرة ومعالجة مشكلة كل فرد على حدة بمعزل عن انتمائه الأسري وجعل أفراد الأسرة بعضهم ضد بعض وثانيها تجزئ قضايا ومشاكل الأسرة دونما تنسيق ولا تحديد لأوجه التفاعل ولا استجلاء للأسباب الحقيقية لتمزق الأسرة ولارسم لمقاصدها البعيده المتمثلة في تماسكها ، وثالثها اعتماد العقلانية المتطرفة واللادين ، ورابعها نبذ الأخلاق والقيم والآداب ، إضافة إلى إدماج قانون الأسرة في القانون المدني.

وأوضحت أنه كان لهذه الاختلالات تداعيات تتمثل في إخراج ثوابت الأسرة من النظام العام« السماح بالمخادنة والزواج المثلي واختلال النسب والإنجاب » وما أدى إليه من فسح المجال أمام تحكم الشهوانية والفردانية والأنانية في العلاقات الأسرية وإذكاء التنافسية داخل الأسرة والصراع بين الجنسين والاستخفاف بالتكاليف والالتزامات الأسرية وما أدى إليه من استخفاف طرف بالحياة الأسرية وعزوف الثاني عن الزواج أصلا بل وأفضت إلى تداعي الأسرة النووية نفسها.

وفسرت هذا التداعي بالانهيار الخطير في الإقبال على الزواج وتراجع معدل الخصوبة وكثرة الطلاق وتنامي العزوبة وشيخوخة الساكنة واضطرابات خطيرة في سلوكيات الأطفال والشباب.

وعرجت الأستاذة الناجي على تداعيات المقاربة الحديثة على الأسرة المسلمة وأوضحت أن طريقة تناول الأسرة وأسلوب الطرح يتوحدان في العلوم الاجتماعية الحديثة مما أدى إلى تشابه الأعراض في الأسرة العالمية وأهمها ارتفاع نسبة الطلاق والسلوكيات الفردانية والحريات غير المنضبطة والعزوف عن الزواج وفقدان المسنين لمكانتهم داخل الأسرة وارتفاع نسبة الأطفال غير شرعيين، وهي مشاكل زاد من حدتها في الدول الإسلامية إحجام الدراسات الوطنية عن إيلاء الأسرة المكانة التي تستحقها.

وأوضحت الأستاذة الناجي مكاوي الانفطام الذي حصل بين الموروث والمستورع وما أدى إليه من «التصاق متصلب بالموروث أو التهجم على القيم والثوابت ومعاداة مجانية لقيم الأسرة» وفوضى في المعاشرة وعبثية وتنويع لأشكال المساكنة دون ضوابط . وخلصت إلى أن « ما تسعى الحداثة المادية إلى إشاعته وكونيته ليس نظاما وإنما فوضى وعبثية» لتنتقل إلى تحليل المنهاج الشمولي الإسلامي وتطبيقاته على الأسرة.

وبسطت الحديث في تفسير الآية الأولى من سورة النساء مؤكدة على كونية الخطاب فيها والتشديد على تقوى الله وما ينطوي عليه تأنيث لفظ النفس فيها من تكريم للأنثى وإقرار لغاية الزواج وكون غايته حفظ النوع البشري.

كما أكدت الأية على حدود الله وكون الأسرة مؤسسة على قواعد وحدود مضبوطة وعلى الأرحام وما يتضمنه من تكريم للمرأة باعتبارها سبب العلاقة الرحمية .

وبعدها أجملت الأصول الكبرى المؤطرة للأسرة المسلمة في جملة أمور أولها التناول الشمولي لقضايا الأسرة من جهة بتحديده حقوق الأفراد من داخل الأسرة وليس من خارجها ومن جهة ثانية بوضع سياسة عامة تعالج كافة جوانب الحياة وتوظف كل الاليات الممكنة.

أما الأصل الثاني فهو اعتبار أحكامها من النظام العام من خلال حرص النصوص على تنظيم الأسرة وحصرها في الزواج ، وثانيا وصف الزواج بالميثاق الغليظ، والأصل الثالث هو ضمان السلم الاجتماعي أولا من خلال التركيز على التكاليف مقابل الحقوق ، وثانيا من خلال الدعوة إلى التخلق بالإحسان في أداء التكاليف.

والأصل الرابع ، إقامة العشرة على أساس العدل لا المساواة فقط، ودحضت الغمز في مبدأ القوامة . والأصل الخامس وهو ابتغاء الحكمة حتى عند فض النزاعات الأسرية.

وخلصت إلى أن هذه البنود تشير إلى أنها تحيط بكافة الأوضاع وتوظف كافة الآليات من قواعد تربوية وأخرى أخلاقية قيمية وثالثة تشريعية مقرونة بالجزاء.

وأجابت الناجي بالنفي عن سؤال استهلت به درسا حول ما إذا كانت هناك أنظمة أسرية عديدة ، موضحة أنه ليس هناك إلا نظام وحيد يستحق أن يسمى نظاما وهو الذي يستحق الكونية، وكونيته نابعة من شموله لكافة الشرائع والملل والنحل والخروج منه وخروج من النظام والفوضى.

وقالت إن وصف سياسة أسرية لا ينطبق إلا على نظام يستوفي شرطين ، إولهما الشمولية وثانيهما التطلع إلى التأليف بين أفراد الأسرة وإشاعة المودة بينهم ، مؤكدة أن ماوصلت إليه العلوم الاجتماعية لا يستحق أن يوصف بنظام الأسرة . وأكدت أن ما أعلن عنه جلالة الملك بخصوص مدونة الأسرة ، ينطبق عليه وصف نظام الأسرة من منطلق حرصه على حماية الحقوق وموازنته بين الحقوق الفردية والمصلحة العليا للأسرة المتمثلة في وحدتها.

وقالت الأستادة الناجي إن خطاب جلالة الملك راعى التحولات التي يعيشها العالم والمواثيق الدولية ، دون أن يهدر خصوصية المجتمع ، كما تضمن عناصر سياسة أسرية أبدعت وسائل لرفع الحيف عن الأسرة.

وأضافت أنه أضحى لزاما على الفاعلين في مجال الأسرة « إبداع نظام ذاتي نابع من ثقافتنا .. يؤلف بين أفراد الأسرة ويضمن تماسكها» في حرص على مقاصد الشرع وتدارس قضايا الأسرة بحكمة، وتصحيح الشكل الذي يطرح به الموضوع والحرص على حسن تطبيق النصوص ، ووضع مساطر خاصة بتطبيق نصوص الأسرة وإحداث مؤسسة التحكيم وإنشاء مؤسسات للأسرة تعوض أدوار الأسرة الممتدة.